

استثمار إيران في جماعات الغلو والتطرف



انصار

مركز الحوار السوري

Syrian Dialogue Center

مركز الحوار السوري

مؤسسة أهلية سورية تهدف إلى إحياء الحوار وتفعيله حول القضايا التي تهم الشعب السوري، وتسعى إلى توطيد العلاقات وتفعيل التعاون والتنسيق بين السوريين. أعلن عن تأسيس مركز الحوار السوري أواخر 2015م عقب عدة فعاليات حوارية في الشأن السوري. يتكون المركز من ثلاث وحدات موضوعية: وحدة الهوية المشتركة والتوافق، ووحدة تحليل السياسات، والوحدة المجتمعية.

إعداد: د. ياسين جمول

مدير الوحدة: د. محمد سالم

وحدة تحليل السياسات

التاريخ:

8 جمادى الآخرة 1442 هـ - 21 كانون الثاني / يناير 2021 م

 WWW.SYDIALOGUE.ORG

المحتويات

2	ملخص
3	المقدمة
5	تنظيمات الغُلاة بين الاختراق والاستثمار ... تخدم إيران
8	القاعدة و"أخواتها" ... وبدء العلاقة المحرّمة
10	1- التعارف والتقارب
12	2- "زواج المصلحة" ... والإقامة
14	تنمة الصفقة ... والرايح طهران
17	إيران و"أدواتها" ... والاستثمار مع الغُلاة فيما هو أبعد
18	التدريب
20	الدعم بالمال والسلاح والذخائر
21	المعلومات والاستخبارات
22	الدعم الميداني ضد الخصوم
25	خاتمة

ملخص:

لا يخفى على أحد تعقُّد المشهد في القضية السورية، وخفاء أجزاء من لوحة العلاقات بين الفاعلين والمؤثرين فيها؛ ومن ذلك امتدادات شبكة إيران التي تدفع بأذرعها الصلبة والناعمة في مختلف مفاصل القضية السورية لتحقيق أهدافها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً.

ومما يشترك مع النشاط الإيراني في الخفاء والتعقيد ما له صلة بتنظيمات الغلاة والتطرف التي كان لها أثر كبير في إفساد الثورة السورية وتضبيب مكتسباتها.

وقد جمعت الطرفين "الإيراني والغلاة المتطرفين" قواسم مشتركة عدة؛ لكن الحديث فيها يأتي غالباً من طرفٍ على شكل اتهامات تفتقد الأدلة، فيدفعها طرفٌ آخر بدعوى المؤامرة والافتراء.

وضمن جهود مركز الحوار السوري في تحليل مواقف الفاعلين والمؤثرين في الساحة السورية؛ تأتي هذه الدراسة مشاركةً في دراسة العلاقة غير المعلنة بين إيران وتنظيمات الغلاة المتطرفين، تحت عنوان "استثمار إيران في جماعات الغلو والتطرف": لأنها علاقة استثمار خفية بُنيت على مصالح متبادلة، وإن كانت إيران فيها المستفيد الأكبر؛ فهي منذ جمعت في التسعينيات بين "مُغنيّة" من حزب الله و"سليمانى" من فيلق القدس مع "بن لادن" و"الظواهري" تنهش بمخلب الغلاة حواضر العرب السنّة وتستزف رموزهم، وتستمرّ إلى اليوم بالاستثمار مع الغلاة المتطرفين لتُفرغ المنطقة عامةً من الثقل الفكري والاجتماعي لصالح مشروعها الفارسي التوسعي.

وقد جاءت الدراسة في إصدارين: يستقلّ الإصدار الأول منهما ببيان مفهوم الاستثمار الإيراني مع التنظيمات المتطرفة بشواهد حيّة مما بين الطرفين، ثم بيان ألوان ذلك الاستثمار من دعم إيران لتنظيمات الغلاة والتطرف بالتدريب والتمويل، وبالسلح، وبالتقنيات العسكرية والمعلومات، وكذلك دعم الطرفين بعضهما على الصعيد الميداني ضد خصومهما؛ وهي قرائن دالة على العلاقة التي جمعت إيران بتلك التنظيمات. ويبحث الإصدار الثاني في العلاقة المعقدة لأدوات إيران في المنطقة مع تلك الجماعات من العراق إلى سوريا ولبنان. وبالنظر إلى أن العلاقة بين الطرفين لم تبدأ مع الثورة السورية؛ فإننا نوسّع دائرة النظر في الخارطة الجغرافية لفهم أبعاد العلاقة الاستثمارية بينهم، فننظر إلى الطرفين نظرة شاملة موحدة، مع شرح أدلة الاستثمار المتبادل الذي لا تخرج عنه أدوات إيران ولا جماعات الغلو والتطرف في العراق وسوريا ولبنان وغيرها.

لتخلص الدراسة إلى بيان اعتماد كلا الطرفين (إيران وجماعات الغلو والتطرف) براغماتية نفعية عالية جعلوا معها ما يعلنون من شعارات ومبادئ وراء ظهورهم في سبيل تحقيق تقاطعات أهدافهم.

ولتنتهي بجملة توصيات بعد دراسة الاستثمار الإيراني في جماعات الغلو والتطرف؛ لأن علاقة إيران مستمرة مع تلك التنظيمات في ضرب الاستقرار وتخريب مشاريع التحول في الدول العربية والإسلامية، فيلزم الاستفادة مما كُشف عنه توفيراً لدماء وجهود جديدة.

المقدمة:

ضربت الساحة السورية حوادثٌ غيرت مسار الثورة فيها؛ لعل أبرزها كان تدخُّل إيران إلى جانب نظام الأسد بأذرعها الخارجية والميليشيات الموالية لها، والأشدّ من ذلك كان ظهور تنظيمات الغلو والتطرف¹ كـ "جبهة النصرة" ثم "داعش" وما رافقه من متغيرات ميدانية وفكرية على الساحة السورية وفي مواقف الدول من الثورة.

ويرى كثيرون أن الربط بين تنظيمات الغلو والتطرف وإيران في الساحة السورية ضربٌ من المجازفة والغلو في نظرية المؤامرة؛ فعلى قدر التوافق المبكر بين قوى الثورة والمعارضة السورية ضد التغلغل الإيراني يمكن رصد تباين اتجاه الموقف من الغلاة المتطرفين؛ لاسيما في المراحل الأولى من عُمر الثورة السورية، بل إن التردّد إزاء مواجهتهم مبكراً تسبّب بخسائر كبيرة في صفوف قوى الثورة والمعارضة، وفي خسارتها كذلك مساحات واسعة من المناطق. ولكنّ مواقفَ تاليةً من الغلاة المتطرفين - الذين وصلت بهم البراغماتية النفعية للانقلاب على ما أراقوا من دماء وخربوا مشاريع وطنية بحجّتها - جعلت شريحة واسعة تُعيد النظر في طبيعة هذه التنظيمات وبُنيتها الفكرية من جهة، وفي طريق بنائها تحالفاتها وعملها الميداني من جهة أخرى.

لذا جاءت هذه الدراسة الوصفية التحليلية مشاركة في كشف العلاقة غير المعلنة لإيران بتنظيمات الغلاة المتطرفين، وللدقة في الدراسة والتحليل جعلت بعنوان: "استثمار إيران في جماعات الغلو والتطرف"؛ فهي علاقة استثمار خفية بُنيت على مصالح متبادلة، وإن كانت إيران المستفيد الأكبر من هذا الاستثمار.

وقد سبق لمركز الحوار السوري إصدار دراسات وتقارير تحليلية عن إيران ومشروعها في سوريا وما يرتبط بحراك إيران في المنطقة وعلاقتها؛ بدأت بسلسلة عن القوى الصلبة لإيران في سوريا²، ثم كانت سلسلة إصدارات للمركز تكشف القوى الناعمة لإيران في سوريا³، وبعد ذلك جاء تقريران تحليليان يكشفان العلاقة الخفية المعقدة لإيران مع الولايات المتحدة و "إسرائيل"⁴؛ لتأتي هذه الدراسة تكميلاً لِمَا سبق من دراسات وتقارير، بما يعين على استيعاب أفضل للمخططات الإيرانية في الساحة السورية والمنطقة عموماً.

¹ نجري في ورقتنا على تعريف تنظيمات الغلو والتطرف إجرائياً بأنها: جماعات دينية تهدف للسيطرة والغلبة عبر إسقاط مؤسسات المجتمع والدولة بقوة السلاح. وتُطلق أحكام التكفير على مخالفيها، وتختص المؤسسات/المجامع العلمانية المستقلة بتوصيفها والطريقة المثلى للتعامل معها.

² أصدر مركز الحوار السوري سلسلة أوراق بعنوان: "ميليشيات المشروع الإيراني في سوريا" في ثلاثة أجزاء بين 2019/9/11-2020/1/1، ثم أقام المركز بتاريخ 2020/1/16 ندوة حوارية بحضور مجموعة من المختصين والخبراء لمناقشة الأوراق وتطويرها. يُنظر: <https://sydialogue.org/ar/news/118>

³ أصدر مركز الحوار السوري سلسلة أوراق بعنوان: "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا: أدواته، مخاطره، سبل مواجهته" في أربعة أجزاء بين 2020/9/19-2020/5/10، ثم أقام بتاريخ 2020/10/10 ندوة حوارية بحضور خبراء ومختصين لمناقشة الأوراق وتطويرها. يُنظر: <https://sydialogue.org/ar/news/147>

⁴ يُنظر: التقرير التحليلي "كواليس دعم الولايات المتحدة الأمريكية للخميين"، مركز الحوار السوري، 2020/11/4، الرابط: <https://sydialogue.org/ar/190>، والتقرير التحليلي "تصدير الثورة والتحويلات في السياسة الإيرانية: إضاءات على العلاقة الإيرانية مع الولايات المتحدة وإسرائيل"²، مركز الحوار السوري، 2021/1/10، الرابط: <https://cutt.us/bn0cM>

والبحث في مثل هذه العلاقة الخفية لا يمكن أن يكتفي بما نُشر واشتهر؛ وإلا جاء كلاماً لا يُبنى عليه، فاتجهنا في الدراسة للتنقيب في آثار تنظيمات الغلو والتطرف ذاتها، وفيما نُشر من وثائق وشهادات لعناصر منها، كما في وثائق زعيم القاعدة التي كُشف عن جزء منها في وثائق "آبوت آباد"، وفيما كتبه مؤرخون ودارسون في مراكز البحث أو مراكز المعلومات والاستخبارات العربية والعالمية عن هذه التنظيمات؛ ولأهمية الخاصة لما وقفنا عليه أثبتنا كثيراً منها في المتن دون الهامش.

وستكون هذه الدراسة في إصدارين؛ يستقلّ الإصدار الأول منهما - وهو الإصدار الذي بين أيديكم هنا - ببيان مفهوم الاستثمار الإيراني مع التنظيمات المتطرفة بشواهد حيّة مما بين الطرفين، ثم بيان ألوان ذلك الاستثمار من دعم إيران لتنظيمات الغلاة والتطرف بالتدريب وبالتمويل، وبالسلح، وبالتقنيات العسكرية والمعلومات، وكذلك دعم الطرفين بعضهما على الصعيد الميداني ضد خصومهما؛ وهي قرائن دالّة على العلاقة التي جمعت إيران بتلك التنظيمات.

تنظيمات الغلاة بين الاختراق والاستثمار.... تخدم إيران:

صحيح أن السؤال عمّن يقف خلف نشوء تنظيم "داعش" ونحوه قد يبدو عقيماً كونها نتاج جملة معقدة من العوامل المحلية والدولية⁵؛ غير أن ما لا يُخالف فيه سعي الدول بأجهزتها الاستخباراتية ومختلف قواها لاختراق التنظيم⁶، في محاولة منها لإنجاح الاستثمار فيه ليحقق لها أهدافها؛ وهذا هو مفهوم القوة الذكية التي تسارع الدول لامتلاكها⁷. وإن كانت تنظيمات "الجهاد العالمي" بدءاً بتنظيم القاعدة انطلقت بجهاز أمني استخباراتي استفادت فيه من عناصر عملوا سابقاً في أجهزة الأمن والاستخبارات الخاصة بدولهم، وأصبحت الاستخبارات من الركائز الأساسية لهذه التنظيمات كون الحروب استخباراتية ومعلوماتية⁸؛ فإن الدول تبقى أشد حنكة في استعمالها قواها الذكية لاختراق تلك التنظيمات.

وليس الحديث في هذه الورقة عن الاختراق "الإسرائيلي" الموثق لـ "داعش" و"جبهة النصرة" في سورية والعراق⁹، ولا عن التعاون الأمريكي معها والدعم الخفي لتنظيمات الغلاة من بعض الدول بأمر أمريكي¹⁰ بما يكشف زيف التحالف الدولي في أهدافه من الحرب على "داعش"¹¹؛ بل الحديث في هذه الورقة عن إيران التي تقوم على نظام أمني استخباراتي صاحب أيديولوجيا توسعية طائفية¹²، وتمتلك عناصر كبيرة من القوة الذكية¹³ تساعد على

⁵ يُنظر: مَن يقف خلف "داعش"؟ سؤال عقيم، عزمي بشارة، العربي الجديد، 6 أغسطس 2014، الرابط: <https://cutt.us/7tv8f>

⁶ يُنظر: "داعش" والجهاديون الجدد، جاسم محمد أسد، دار الياقوت، الأردن، 2014، ص 141.

⁷ يُراد بمصطلح القوة الذكية في السياسة الدولية: القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على ما تريده الدولة أو الجهة صاحبة القوة الذكية. وجاء ظهور هذا المصطلح بعد القوة الناعمة التي أرسى دعائمها جوزيف ناي، وتتميز القوة الذكية عن الناعمة بالجمع بين القوة الصلبة والقوة الناعمة لتحويلها لمخرجات تصب في صالح الفواعل من الدول وغير الدول. يُنظر: القوة الذكية في السياسة الخارجية - دراسة في أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه لبنان 2005-2013، سماح عبد الصبور عبد الحي، دار البشير، مصر، 2014، ص 61-62.

⁸ في كتاب السلطة السوداء: الدولة الإسلامية واستراتيجية الإرهاب، كريستوف رويتر، ترجمة: محمد سامي الحبال، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر، 2016، ص 21 فصل بعنوان "دولة الخلافة المخابراتية... الصعود المخطط بدقة لـ الدولة الإسلامية"؛ فليُنظر.

⁹ نشر مركز Global Research البحثي أن: قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة المتمركزة في الجولان أفادت عن "ملاحظتها حول تفاعل قوات الدفاع الإسرائيلية مع مقاتلي جبهة النصرة على الحدود، في الوقت نفسه احتج أفراد من الأقلية الدرزية على استخدام المستشفيات الإسرائيلية لمساعدة الجرحى من مقاتلي "داعش" والنصرة"، وفي تمه الخبر: "يبدو أن ارتباط إسرائيل بـ "داعش" قد تجاوز مناطقها الحدودية؛ ففي أواخر عام 2015 تم الإبلاغ عن قيام قوات مكافحة الإرهاب العراقية باعتقال أربعة أجانب تم توظيفهم كمستشارين عسكريين لمقاتلي "داعش"، ثلاثة منهم أمريكيون وإسرائيلي. قيل: إن العقيد الإسرائيلي يوسي أولين شاحك قد اعتقل مع جماعة "داعش" في العراق، وشاحك من لواء غولاني، كان عقيداً شارك في العمليات الإرهابية لجماعة "داعش" التكفيرية، وتم الاستشهاد بستة مسؤولين عراقيين كبار قدموا تفاصيل عن الأسلحة الأمريكية والدعم الاستخباراتي لـ "داعش". الحرب القذرة على سوريا: واشنطن تدعم الدولة الإسلامية ("داعش")"

The Dirty War on Syria: Washington Supports the Islamic State (ISIS) - By Prof. Tim Anderson - Global Research December 29, 2015
[-https://cutt.us/rqrW7](https://cutt.us/rqrW7)

¹⁰ ذكرت صحيفة ناطقة بالإنكليزية عن نائب وعضو لجنة الأمن والدفاع في البرلمان العراقي: أن طائرات أمريكية ألقت شحنات من الأسلحة والمعدات على معسكرات لـ "داعش" في العراق، مع إقرار واشنطن في المقابل بدعم بعض شركائها العرب لـ "داعش" والنصرة بالمال.
يُنظر: الحرب القذرة على سوريا، مرجع سابق. وقال النائب: إن الطائرات الأمريكية أسقطت أسلحة لـ "داعش"

American aircraft dropped weapons to ISIS, says MP - Amre Sarhan - Jan 4, 2015 - IraqiNews <https://cutt.us/Y8BB6>

¹¹ في إشكالية الغاية من الحرب على الإرهاب تُنظر ورقة لمركز الحوار السوري بعنوان: مخاطر عودة "داعش" واستثمار اللاعبين فيه، بتاريخ 2020/6/5: <http://sydialogue.org/ar/164>

¹² يُنظر: محاكمة أفكار الغلاة في ضوء أربعين عاماً من الفشل، سعيد بن حازم السويدي، مركز ثبات للبحوث والدراسات، الإصدار 8، 2017، ص 107
¹³ يُنظر: القوة الذكية، مرجع سابق، ص 82-87.

تحقيق اختراق تلك التنظيمات لصالحها؛ فقد كشفت وثائق مسربة من أرشيف الاستخبارات الإيرانية نشرها موقع "إنترسبت" الأمريكي الشهير¹⁴ عن تمكّن إيران من اختراق تنظيم "داعش" منذ 2014، ولم يكن الاختراق على مستوى العناصر العاملين، بل وصلت إلى أصغر حلقة حول زعيم "داعش" آنذاك (أبو بكر البغدادي)؛ إذ حوت إحدى الوثائق تفاصيل اجتماع "المجلس المركزي للخلافة" برئاسة البغدادي في ديسمبر 2014، وما دار في الاجتماع من مناقشة هجوم "داعش" على القوات العراقية بداية 2015¹⁵. وهذا خلاف ما ذكره شرعيّ تنظيم القاعدة عطية الله الليبي في حديثه عن الاختراق إذ قال: "الاختراق -أخي الكريم- محتمل وجوده لأي تنظيم أو دولة، لكن النقطة الفارقة هي: على أي مستوى حصل الاختراق؟ فالمشكلة الكبيرة هي أن يتمكّن العدو من اختراقك على مستوى القيادة"، وأكمل الليبي: "وأما السؤال عن دولة العراق الإسلامية بخصوصها فاعتقادي أنها إن شاء الله في أيدي أمينة موثوقة"¹⁶. هذا؛ وتنظيم "داعش" من بين تنظيمات الغلاة هو أقواها في النظام الاستخباراتي والأمني؛ لأنه نشأ وتميّز نظامه الأمني بجهود قادة بعثيين كانوا في جيش الرئيس العراقي صدام حسن، كما كشفت تقارير دولية ووثائق عُثر عليها لقائد من "داعش" حين مقتله¹⁷؛ فلا بد أن الاختراق في صفوف غيره من تنظيمات الغلو والتطرف حاصلٌ،

¹⁴ موقع إنترسبت The Intercept: موقع متخصص في الصحافة الاستقصائية ونشر الوثائق والتسريبات ضد قضايا الفساد السياسي والمالي عالمياً، وابتدأ عمله بالوثائق التي سرّبها إدوارد سوندين من وكالة الأمن القومي الأمريكي، وقد عدّ انطلاقه عام 2014 فاتحة عهد جديد في الإعلام الحرّ والصحافة الاستقصائية. يُنظر مثلاً: The Intercept ... عهد جديد في الإعلام الإلكتروني، الأخبار، شباط 2014، الرابط: https://al-akhbar.com/Media_Tv/26737، والتعريف في موقع ذاته: <https://theintercept.com/about/>؛ يُنظر: حرب الظل الإيرانية على "داعش".

¹⁵ IRAN'S SHADOW WAR ON ISIS, Murtaza Hussain, November 18 2019: <https://theintercept.com/2019/11/18/iran-isis-iraq-kurds/> ووثائق مسربة من الاستخبارات الإيرانية.. العراقيون قاتلوا "داعش" وطهران كانت تتجسس، قناة الحرة، 18 نوفمبر 2019، الرابط: <https://cutt.us/7HPY>

¹⁶ أو لعل الليبي يقصد المرحلة السابقة لإعلان "داعش" أيام كانت باسم "دولة العراق الإسلامية"، وإن كانت "داعش" "الدولة الإسلامية في العراق والشام" امتداداً لدولة العراق الإسلامية. يُنظر: تنظيم القاعدة ومشروع الدولة الإسلامية والتلاعب المستمر بمبدأ الولاء والبراء، سعيد بن حازم السويدي، مركز ثبات للبحوث والدراسات، الإصدار 5، 2016: ص 79-80.

¹⁷ نقل الخبر الأمني هشام الهاشمي عن أحد قيادات جيش المجاهدين في العراق: "أنه التقى بالمدعو يونس الأحمد في دمشق بمكتبه بالمزة في 6 رمضان عام 2007، ودار حديث بينهما عن القاعدة، وكان يونس الأحمد يقول: نحن لا نتفاوض مع هذه الحكومة ولا غيرها؛ وسوف نبقي نقاتل إلى آخر سلفي جهادي في العراق". ويونس الأحمد جنرال وسياسي من قيادات البعث العراقي. وسرد الهاشمي بعد هذا القول أسماء عناصر من البعث العراقي والبعث السوري كانوا قادة ميدانيين وأمنيين في تنظيم "داعش". يُنظر: عالم "داعش" من النشأة إلى إعلان الخلافة، هشام الهاشمي، دار الحكمة، لندن، 2015، ص 195. وهذا ما أكده موقع إنترسبت الأمريكي من خلال وثائق عُثر عليها بخط حجي بكر الضابط العراقي السابق الذي كان مساعداً لأبي بكر البغدادي زعيم "داعش" بعد مقتله، وفيها خطة حجي بكر لإنشاء وكالة تجسس لـ "داعش" على أساس وكالات استخبارات صدام؛ لتؤكد عمق جنود "داعش" في حزب البعث. يُنظر: قوات "داعش" التي تسيطر على الرمادي هي من الموالين لصدام البعثيين السابقين

ISIS FORCES THAT NOW CONTROL RAMADI ARE EX-BAATHIST SADDAM LOYALISTS - Malcolm W. Nance - June 3 2015 ، <https://cutt.us/GxLeC> .

وهذا يوافق ما ذكره قيادي منشق عن تنظيم "داعش" في اعترافاته، يُنظر: قيادي منشق عن تنظيم "داعش" يكشف تفاصيل نشأة التنظيم ج 1، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، 1 نوفمبر 2019، الرابط: <https://cutt.us/CVKJL> . وما نقلته دير شبيغل الألمانية عن تشارلز ليستر من معهد بروكينغز في مقابلة معه، فقد ذكر أن المسؤولين عن الاستراتيجية العسكرية لـ "داعش" هم نواب البغدادي المباشرين، وهم في غالبيتهم من الذين عملوا سابقاً كضباط في الجيش العراقي أو في أجهزة الاستخبارات، هل الدولة تضرب القاعدة؟

Is the Islamic State Beating Al-Qaida? Samiha Shafy - 23.08.2014 - الرابط: <https://cutt.us/9uPRs> .

وربما أكبر، ولعل ما تشهده الساحة على امتداد خارطة عمل هذه التنظيمات من حالات إعدام في صفوفها والعاملين معها بتهمة التجسس والخيانة بين سورية¹⁸ والعراق¹⁹ والصومال²⁰ واليمن²¹ وليبيا²² وسيناء²³ تشهد لذلك، وإن كان يغلب أنها لا تُعلن عن كامل حالات الاعتقال بهذه التهم؛ لأن عمليات التحقيق مع قيادات منها والقتل تتم في سجونها السرية كما كشف القيادي المنشق أبو صفية اليمني²⁴، وما جاء في اعترافات نائب البغدادي "قرداش" عند اعتقاله أن البغدادي أعدم عدداً من قيادات التنظيم والشرعيين بفتوى المقرّبين منه²⁵.

ولم تكن إيران الدولة الوحيدة التي تعمل على اختراق تنظيمات "داعش" والقاعدة وغيرهما؛ بل استهدفت مختلف أجهزة الاستخبارات العربية والغربية تلك الجماعات لتحقيق اختراقات داخلها، بهدف تغيير مساراتها والحصول على معلومات من داخلها، وجهود هذه الدول جعلت من تنظيمات الغلاة قابلة للتوظيف، وغدت لاعباً مهماً في

وفي كتاب "داعش: صورة من داخل جيش الرعب" تأكيداً للتحالف بين البعثيين ورجال العشائر وتنظيم القاعدة في العراق، مع ما أورده الكتاب من اعترافات انتحاري فشل في عملية التفجير أكد صلة الزرقاوي بتنظيم البعث، ثم صلة الزرقاوي بالقوات العراقية الخاصة التي كانت - حسب الكتاب - تؤمن السيارات التي يجري تحويلها إلى سيارات مفخخة، كما أنها كانت تتولى نقل الانتحاريين وتأمينهم.

ISIS: Inside the Army of Terror - by Michael Weiss, Hassan Hassan – Regan Arts, New York – 2016: 27

وُنظر: قراءة في كتاب "داعش" صورة من داخل جيش الرعب، مراجعة: النور حمد، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 16، أيلول 2015، ص 177.

وللمزيد حول ضلوع قيادات البعث العراقي في الجهاز الأمني والاستخباراتي لـ"داعش" يُنظر مع ما سبق: "داعش" إلى أين؟ جهاديو ما بعد القاعدة، فواز جرجس، ترجمة: محمد شيّ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2016، ص: 133-153، 138. وكتاب النظم التسلطية العربية حاضنة الإرهاب، أنور البني وآخرون، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2017، ص 17.

¹⁸ يُنظر مثلاً على ذلك:

- "داعش" يقطع رأس داعية مغربي بتهمة التجسس لصالح المخابرات، هسبريس، الرابط: <https://cutt.us/pyoMd>
- تحرير الشام تعدم 7 متهمين بالعمالة لروسيا، مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الرابط: <https://cutt.us/u1hwD>
- "داعش" تعدم أحد إرهابيّيها الروس في الرقة بتهمة التجسس، إسلام تايم، الرابط: <https://cutt.us/Gwksn>
- الإندبندنت: "داعش" تعدم اثنين من عناصرها بتهمة التجسس والسرقة، فيتو عن الإندبندنت البريطانية، الرابط: <https://cutt.us/1hgXt>
- "داعش" تعدم رجلاً بتهمة التجسس لإسرائيل، موقع الحل، الرابط: <https://cutt.us/ey6ve>

¹⁹ يُنظر مثلاً:

- "داعش" تعدم 4 سوريين بتهمة التجسس في مخيم القائم بالعراق، زمان الوصل، الرابط: <https://cutt.us/euKHK>
- "داعش" تعدم عشرة من عناصرها بتهمة التجسس للقوات الأمنية وسط الفلوجة، موقع المعلومة، الرابط: <https://cutt.us/B5B3F>
- "داعش" يبدأ التصفيات الداخلية بتهمة التجسس، بوك ميديا، الرابط: <https://cutt.us/5FtLU>

²⁰ يُنظر: حركة الشباب تعدم أحد عناصرها الأجانب بتهمة التجسس، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، الرابط: <https://cutt.us/yIsv0>

²¹ يُنظر: بتهمة التجسس لصالح الحكومة.. القاعدة تعدم طبيياً وتصلبه في اليمن، قناة الحرة، الرابط: <https://cutt.us/cE1yi>

²² يُنظر: ليبيا: "داعش" تعدم تونسياً بتهمة التجسس، يومية البناء، الرابط: <https://cutt.us/dPQQs>

²³ يُنظر: ولاية سيناء تعدم أحد عناصرها بتهمة التجسس، جريدة البيان، الرابط: <https://cutt.us/REt1u>

²⁴ يكشف اليمني في كتابه بعض ما عايشه في سجون "داعش" عند اعتقاله مع شرعي آخر في التنظيم، ومنها التعذيب بالكيماوي وتجريب بعض الأسلحة والأدوية على السجناء، لاسيما من كانوا عناصر في التنظيم. يُنظر كتاب: الانفجار في كشف وفضح الأسرار، أبو صفية اليمني صلاح بن سالم باجبع، شبكة عرين المجاهدين. الرابط: <http://halgan.net/kutub/wajikafaydid.pdf>

²⁵ عبد الناصر قرداش: نائب زعيم "داعش" البغدادي، اعتُقل في العراق، وكان لقرداش أثر كبير في عمل "داعش" ضمن الأراضي السورية. يُنظر: قرداش يكشف خبايا تنظيم "داعش": "منهجنا كان الوحشية والخراب لبث الرعب، كلنا مش برس، 2020/5/25، الرابط: <https://glgamesh.com/141074->

[.html](#)

تنفيذ أجنادات الدول والجماعات المختلفة لتحقيق مآربها²⁶؛ وهذا هو المراد بالاستثمار فيها، لذا كان جواب "علي مملوك" مدير أمن الدولة في سوريا سابقاً للأمريكيين عند حديثه عن تسهيلات مخبرات الأسد لعناصر القاعدة ذهابهم إلى العراق وتجنيدهم أن قال: "نحن لدينا الكثير من الخبرة والمعرفة بهذه المجموعات؛ لا نهاجمهم ولا نقتلهم .. نحن نتداخل بهم، و فقط في اللحظة المناسبة نتحرك"، وقال: "إن هذه الطريقة أثمرت إعاقة أهداف الإرهابيين وتفكيك خلايا الإرهاب"²⁷.

القاعدة و "أخواتها" وبدء العلاقة المحرّمة:

شهدت الساحة الأفغانية ولادة تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن، وأطلقت في شعاراتها وأدبياتها "عالمية الجهاد" بعد ما عدّته فشلاً في تجارب النضال والمقاومة الوطنية²⁸؛ تلك العالمية العابرة للحدود التي وجدنا لها صدى مع شعار "داعش" العابر للحدود كذلك "باقية وتمتدّد"²⁹، وكانت "داعش" و"جبهة النصرة" قد خرجتا من رجم تنظيم القاعدة في العراق الذي أسّسه الزرقاوي بعد الغزو الأمريكي عام 2003³⁰؛ لذا لم يخرج خلاف "داعش" مع "جبهة النصرة" في البداية وغيرها من نتاج القاعدة عن اختلاف أفراد البيت الواحد على قيادة "العائلة الجهادية" والتنازع على الميراث "الجهادي"، فتمهّدوا للمشاكل مع طرف لتشتعل مع طرف آخر من "الأسرة" ذاتها، كما

²⁶ حول الدول الوظيفي لفكر الغلو وتنظيماته تُنظر ورقة لمركز الحوار السوري بعنوان: مستقبل فكر الغلو والتطرف بعد "داعش" وآليات التعامل معه، 2019/6/28، الرابط: <https://sydialogue.org/ar/117>، ومخاطر عودة "داعش" واستثمار اللاعبيين فيه، مرجع سابق.

²⁷ جاء هذا في وثيقة مسربة عن أحد ضباط مخبرات نظام الأسد كما ذكر بيتر نيومان، وهو أستاذ الدراسات الأمنية بكلية كينغز كوليدج لندن King's College London وأعدّ بحثاً حول الصراع في سوريا ومستقبل الحركة الجهادية العالمية.

Suspects into Collaborators, Peter Neumann argues that Assad has himself to blame - 3 April 2014: <https://cutt.us/wWuEt>

والمقال مترجم بعنوان: جهاديّو سوريا؛ لا يلومون الأسد إلا نفسه، الجمهورية نت، الرابط: <https://www.aljumburiya.net/26403> وأثبت كريستوف روبرت هذه المقولة "نحن لا نقتلهم فوراً؛ أولاً نخترق منظماتهم ونجمع المعلومات. وبعد ذلك عندما تسنح الفرصة نتصرف معهم" باسم علي مملوك مدير أمن الدولة السوري وقتذاك، يُنظر: السلطة السوداء، مرجع سابق، ص 72.

²⁸ كرز منظر القاعدة أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم) أهمية الدعوة إلى عالمية الجهاد وإثبات فشل التجارب القطرية والوطنية في مواضع كثيرة من كتابه الذي يحمل عنوانه هذا المعنى وهو "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية"؛ وهو من أهم الكتب التي تشرح فكر تنظيم القاعدة بأقلام قادتها، من ذلك قوله: "إن القوى والتنظيمات الجهادية، بل وقوى الصحوة الإسلامية لا تكفي لمواجهة هذه الحملة اليهودية الصليبية العالمية. وإنه لا بد من إعادة مهمة الجهاد للأمة كاملة، وإحيائها وزجّها في مقاومة إسلامية عالمية تكون في مقابلة هجمة صليبية يهودية عالمية".

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أبو مصعب السوري، ديسمبر 2004، ص 53/1.

²⁹ يرى البعض شعار داعش "باقية وتمتدّد" المفتاح الرئيس لفهم حقيقة الأهداف بعيدة المدى لتنظيم "داعش"؛ وأن هذا لا يعني مجرد التوسع الجغرافي للحدود المادية للخلافة، بل يعني أيضاً توسيع نفوذها العالمي بهدف تعزيز قابلية مشروعها للبقاء والاستمرار. يُنظر: استراتيجية تنظيم الدولة الإسلامية: باقية وتمتدّد، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 29 حزيران 2015، الرابط: <https://carnegie-mec.org/2015/06/29/ar-pub-60542>

³⁰ ثمة قواسم مشتركة كثيرة بين تنظيم "داعش" والنصرة هي ليست موضع النظر في هذه الورقة، وللتوسع في تاريخ تنظيمات الغلاة وخروجها من رجم واحدة يُنظر: تنظيم القاعدة ومشروع الدولة الإسلامية والتلاعب المستمرّ بمبدأ الولاء والبراء، مرجع سابق، ص 95، ودراسات في السلفية الجهادية، أكرم حجازي، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، 2013، ص 74. و"داعش" إلى أين؟ جهاديّو ما بعد القاعدة، مرجع سابق، ص 35. وعالم "داعش"، مرجع سابق، ص 210. وتنظيم الدولة الإسلامية - الأزمة السنّية والصراع على الجهادية العالمية، حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، مؤسسة فريدرش إيبيرت، الأردن، 2015، ص 23. و"داعش" من الزنزانة إلى الخلافة، أحمد عبد الرحمن مصطفى، أكتوبر 2015، ص 11. وتنظيم "داعش" وإدارة الوحشية، صلاح عبد الحميد، أطلّس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2015، ص 15. وتنظيم "داعش" والإرهاب العابر للحدود، حسن سالم بن سالم، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مايو 2016. والعراق: انهيار ترتيبات ما بعد الاحتلال، عبد الوهاب القصاب، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 9، يوليو 2014.

رأينا في الخلاف الأخير للجولاني مع أقرب الناس إليه، فهم "الأخوة الأعداء"³¹؛ لذا تنظر هذه الورقة إلى تنظيمات الغلو والتطرف كونها طرفاً واحداً في موضوع استثمار إيران نفوذها فيها، لاسيما وأن علاقة الغلاة المتطرفين مع إيران مثّلت منذ عهد الزرقاوي و"قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين" واحدةً من القضايا الخلافية بين قاعدة العراق وقيادة التنظيم³².

ولذا جرت هذه الورقة على عرض استثمار إيران في التنظيمات المتطرفة على حدّ سواء؛ وفيما يتم عرضه دليل على اتحاد القاعدة و"أخواتها"³³ في العلاقة ذاتها تضيق أو تتسع.

ترتبط إيران بأفغانستان - حيث نشأ تنظيم القاعدة خلال الجهاد الأفغاني³⁴ - بحدود جغرافية طويلة، ولها علاقات معقدة ونفوذ كبير داخل أفغانستان، لكنّ الفترة الزمنية التي شهدت ولادة تنظيم القاعدة كانت علاقة طهران بكابل سيئة، وكادت تقع حرب بين البلدين إبان حكم طالبان³⁵، والذي يعيننا هنا أن تنظيم القاعدة كان سبباً من أسباب توتر علاقة طالبان مع إيران؛ فالقاعدة لم تنضبط بتعاليم إمارة طالبان، وشكّلت ما يشبه دولة داخل الدولة الوليدة، وعبثوا بمصير إمارة طالبان آنذاك³⁶، مستغلين تعاطفها معهم³⁷. وحينما توجهت الإمارة لتخفيف

³¹ وفق تعبير عبد الباري عطوان في كتابه: الدولة الإسلامية: الجذور التوحش المستقبل، دار الساقى، بيروت، 2015، ص 186.

³² كشفت السلطات الأمريكية عن رسالة للزرقاوي إلى قادة القاعدة بتاريخ كانون الثاني 2004، وتضمنت الرسالة طلب الزرقاوي المساعدة بشنّ حرب شاملة على جميع أطراف العملية السياسية في العراق آنذاك، سنية كانت أم شيعية، وأولية استهداف الشيعة ومناهضة المشروع الإيراني في المنطقة كشرط لمبايعة بن لادن وتمثيل القاعدة إقليمياً. وهذا ما عارضته قيادة القاعدة وأكدت ضرورة عدم مهاجمة إيران بحجة المحافظة على خطوط الإمداد واستقرار عناصر القاعدة التي استقروا في إيران بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان وسقوط إمارة طالبان. وتفاصيل الرسالة والنقاش مع قيادة القاعدة حتى تمت مبايعة الزرقاوي وتبعيته للقاعدة في: تنظيم الدولة الإسلامية - الأزمة السنيّة والصراع على الجهادية العالمية، مرجع سابق، ص 36 وما بعدها.

³³ تشير هنا إلى أن ما نعبه بـ "أخوات القاعدة": ما خرج من زجماً بعد إعلانها، وليس أخواتها الكبريات - إن صح التعبير - اللاتي كانت ولادتها في أفغانستان بعد الاندماج والتوافق بينها فكرياً أو تنظيمياً. وللتوسع أكثر يُنظر كتاب: القاعدة وأخواتها قصة الجهاديين العرب، كميل الطويل، دار الساقى، لبنان، 2007.

³⁴ كانت الساحة الأفغانية خلال تلك الفترة شديدة التداخل والتعقيد بين الأطراف المحلية المتنازعة من جهة، والأطراف الدولية الفاعلة والمؤثرة في أفغانستان من جهة أخرى. وللمزيد عن ظروف ولادة القاعدة وسط تعقيدات المشهد الأفغاني يُنظر: تنظيم القاعدة والرهانات الجيوسياسية في أفغانستان، رسالة جامعية، إعداد الطالبة: طلحي إيناس، جامعة الجزائر 3، 2013-2014.

³⁵ دعمت إيران تحالف الشمال المناهض لطالبان لسنوات طويلة، ثم وقعت حادثة مقتل دبلوماسيين إيرانيين في مزار الشريف خلال حكم طالبان؛ ما وصل بالعلاقة إلى حد القطيعة وكادت الحرب تقع بينهما آنذاك. يُنظر في تفاصيل العلاقة الإيرانية الأفغانية: النفوذ الإيراني في أفغانستان: الآثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة، مؤسسة Rand، 2014، الرابط: <https://cutt.us/cdO39>، ويُنظر:

- Iran's influence in Afghanistan - Vinay Kaura - June 23, 2020: <https://cutt.us/zpouY>
- What Iran Wants in Afghanistan And What U.S. Withdrawal Means for Tehran - By Colin P. Clarke and Ariane M. Tabatabai - July 8, 2020: <https://cutt.us/VYcRx>

³⁶ مما يسجله مؤرخو الحرب الأفغانية أن بن لادن تردد كثيراً في مبايعة الملا عمر بعد انتصار طالبان وإعلانها الإمارة، حتى دفع نائباً له لمبايعة الأمير آنذاك عنه. يُنظر العتب بمصير دولة إسلامية لا يملكونها في: تنظيم القاعدة ومشروع الدولة الإسلامية والتلاعب المستمر بمبدأ الولاء والبراء، مرجع سابق، ص 21.

³⁷ كان زعيم القاعدة بن لادن يقول في مجالسه الخاصة عن طالبان: "لأدخلكم حرباً هي خيرٌ لهم من الدنيا وما فيها!" نقل هذا الكلام مؤرخ الأفغان العرب مصطفى حامد أبو الوليد المصري، وقد أكثر فيما كتبه عن تجاوزات القاعدة وقيادتها في أفغانستان مع أدب الأمير الملا عمر ولطفه معهم؛ لاسيما في كتابه صليب في سماء قندهار: ليلة سقوط قندهار الصمود العربي الأخير في الوقت الضائع! وهو الكتاب السادس لمصطفى حامد ضمن سلسلته "من أدب المطاريد ثرثرة خارج نظام العالم"، وجملة بن لادن المذكورة في: ص 130 من الكتاب ذاته، ويُنظر فيه: ص 86، ص 90، ص 191.

التوتر مع إيران رفض تنظيم القاعدة إقامة أية علاقة للإمارة معها؛ بل أعلن أحد قادتها الحرب على إيران³⁸، فكانت إيران من أكبر الأعوان على إسقاط إمارة طالبان وأكثرهم فرحاً بسقوطها³⁹.

1- التعارف والتقارب:

كشفت وثائق زعيم القاعدة أسامة بن لادن -التي عُثر عليها في أبوت آباد⁴⁰ عند مقتله ونشرها مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت⁴¹ - أن القاعدة كانت تعي حقيقة موقف إيران من طالبان وعداوتها؛ لكنّ تنظيم القاعدة ومع معارضته تهدئة إمارة طالبان الناشئة وقتذاك مع إيران وتشهيره بها بدأ اتصالات سرية مع إيران، ومما كُشف من ذلك زيارتٌ سريةٌ للظواهري إلى إيران بين عامي 1990 و1991 للاستفادة من إيران في تدريب عناصر "تنظيم الجهاد" المصري على تنفيذ انقلاب في مصر والإطاحة بحكم حسني مبارك، بسبب إعجاب الظواهري بنموذج الثورة الإيرانية وإطاحتها بالشاه، وإعجاب الطرف الإيراني بالجهاديين المصريين وفرحها لنجاحهم باغتيال السادات

³⁸ يُنظر: السائرون نياماً، الكتاب 12 من سلسلة "من أدب المطايرد ثرثرة خارج نظام العالم، مصطفى حامد، ص65، ص73.

³⁹ يُنظر: كتاب حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، تريت بارزي، ترجمة: أمين الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص115. والسائرون نياماً، مرجع سابق، ص44، ص147-149.

⁴⁰ لا يخفى أن تسريب الاستخبارات الأمريكية جزءاً من وثائق بن لادن ليس بريئاً تماماً؛ فهو يتصل بمضمون الوثائق التي تم تسريبها، وهي في أكثرها عن علاقة القاعدة بإيران، وهذا ما كان يريده البيت الأبيض تحت إدارة ترامب كذريعة للخروج عن أي اتفاق مع إيران، كما أن فيها رسائل لبعض الأنظمة للابتزاز السياسي. وقد أصدرت مجلة لونغ وور جورنال التي تؤرّخ للحرب الأمريكية على الإرهاب ورقة تحليلية عن تسريب الوثائق وما فيها، وفي نهاية الورقة: "إصدار اليوم فرصة فريدة للخبراء والباحثين والصحفيين لبناء فهم أفضل للقاعدة": وهذا هو المراد هنا. يُنظر:

- Analysis: CIA releases massive trove of Osama bin Laden's files - BY THOMAS JOSCELYN & BILL ROGGIO -long war journal - November 1, 2017: <https://cutt.us/VqTYX>
- Iran's Secret Funding For al-Qaeda In Exchange for Attacks on U.S. Targets Exposed in Bin Laden Files - BY CALLUM PATON - News week - 11/2/17: <https://cutt.us/Nr7yb>

⁴¹ رفعت المخابرات الأمريكية السرية عن قسم من الوثائق التي عُثر عليها في المكان الذي قُتل فيه زعيم القاعدة بن لادن، ونشر هذه الوثائق مركز مكافحة الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت على دفعات

Letters from Abbottabad: Bin Ladin Sidelined? MAY 03, 2012: <https://ctc.usma.edu/letters-from-abbottabad-bin-ladin-sidelined/>

ونشرتها الاستخبارات الأمريكية باللغتين العربية والإنكليزية في الرابط: <https://www.dni.gov/index.php/features/bin-laden-s-bookshelf?start=2>

وقد جُمع قسم كبير من الوثائق في ملف واحد باللغة العربية بعنوان وثائق أبوت آباد كاملة، الرابط:

https://archive.org/details/aboot_abad/mode/2up

ونشرت قسماً من وثائق بن لادن مجلة لونغ وور جورنال مكتوبة بخط اليد، الرابط:

Read Osama bin Laden's handwritten journal - BY THOMAS JOSCELYN - November 1, 2017: <https://cutt.us/0QV5I>

وقد تكرر طعن بن لادن فيها بإيران وبيان عدم ثقته بها في مواضع من هذه الوثائق، من ذلك: الوثيقة 3/2012 والوثيقة 2012/10 والوثيقة 2012/19. وفي وثائق أبوت آباد الكاملة: ص244، ص256، ص258، ص368.

وقتذاك⁴²؛ ولعل هذا الإعجاب المتبادل هو ما ساعدَ في بدء علاقة إيران مع الظواهري ودعمه بمليوني دولار في تلك الزيارات السرية، كما ذكر لورانس رايت بناءً على اعترافات عناصر من القاعدة⁴³.

وقد يُقال: كانت صلات الظواهري هذه بإيران قبل اندماج "تنظيم الجهاد" المصري بقيادة الظواهري مع بن لادن وتأسيس القاعدة عام 1998⁴⁴، وهذا صحيح؛ لكنّه لا يغيّر من دعم إيران لجماعات الغلو والتطرف - وهذا هو موضوعنا هنا - سواءً أكان "تنظيم الجهاد" المصري بقيادة الظواهري أم كان تنظيم قاعدة الجهاد بقيادة بن لادن من جهة، ومن جهة أخرى فإن الارتباط الأيديولوجي الوثيق والتأثير المتبادل بين الزعيمين "الظواهري وبن لادن" كان قبل ذلك بنحو عقد من الزمن؛ لاسيما وأن تأثير الظواهري في بن لادن كان بزيادة العنف والجنوح أكثر نحو الغلو والتطرف، كما يقرّ بذلك حتى المقرّبون من القاعدة⁴⁵. ويؤكد بدء التعارف والتقارب بين الإيرانيين والمتطرفين الغلاة في هذه المدة الحلقة الثانية لهذا التواصل التي كانت في السودان، وذلك بلقاء بن لادن وقادة القاعدة مع قيادات عسكرية من فيلق القدس الإيراني وحزب الله اللبناني، وما أثمر عنه ذلك من اتفاقيات التدريب والتعاون بين الطرفين⁴⁶.

وكذلك فإن صحيفة واشنطن بوست كشفت - عن خبراء الإرهاب الأمريكيين - نتيجة تحليل المكالمات الهاتفية التي أجراها بن لادن عبر الأقمار الصناعية بين عامي 1996 و1998 وأظهرت أن أكثر من 10% من اتصالات بن لادن تمت إلى إيران⁴⁷؛ مما يؤكد أن الاتصالات مع إيران كانت مستمرة خلال تلك الفترة. وقد حدّدت وزارة الخزانة الأمريكية في وثيقة نشرتها "مصطفى حامد"، الذي كان أحد كبار مساعدي بن لادن، على أنه كان ضابط اتصال بين بن لادن والحكومة الإيرانية منذ منتصف التسعينات⁴⁸.

⁴² زواج المصلحة: تطور التعاون التكتيكي بين إيران والقاعدة، مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت

Marriage of Convenience: The Evolution of Iran and al-Qa'ida's Tactical Cooperation - ASSAF MOGHADAM - APRIL 2017:

<https://cutt.us/G7gKd>.

وجاء هذا في صحيفة "رأي اليوم" لعبد الباري عطوان كذلك تحت عنوان: علاقة الظواهري بإيران ومغنية ... والقطيعة بين القاعدة وإيران وبين الظواهري والبغدادي، February 16, 2015، الرابط: <https://cutt.us/R9xAL>.

⁴³ يُنظر: البروج المشيدة القاعدة والطريق إلى 11 سبتمبر، لورانس رايت، ترجمة: هبة مغربي، كلمات عربية، مصر، 2013: ص197.

⁴⁴ كان لهذا الاندماج أسباب وتداعيات، يُنظر تفصيلها مثلاً في كتاب "أيمن الظواهري كما عرفته" لمحمي الجماعات الإسلامية بمصر "منتصر الزيات"، وقد نشرته صحف الحياة اللندنية والقبس الكويتية وأخبار العرب الإماراتية في ست حلقات. يُنظر: كتاب منتصر الزيات "أيمن الظواهري كما عرفته" الحلقة 4، التحالف مع بن لادن حول الظواهري من مواجهة العدو القريب إلى التركيز على العدو البعيد، القبس، 14 يناير، 2002، الرابط: <https://cutt.us/AsVi2>. وحكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج: تطور تنظيم الجهاد للذوبان في تنظيم القاعدة، أسامة شحادة، ضمن "خديعة الممانعة الإيرانية"، دورية صادرة عن الراصد، العدد 174، ربيع الأول 1439: ص4-14.

⁴⁵ يُنظر مثلاً: القاعدة التنظيم السري، عبد الباري عطوان، دار الساق، لبنان، 2007: ص90-93.

⁴⁶ البروج المشيدة، مرجع سابق: ص196، وتفصيل ضمن هذا الإصدار هذا في فقرة لاحقة بعنوان "التدريب".

⁴⁷ Bin Laden Son Plays Key Role in Al Qaeda, Washington Post, By Douglas Farah and Dana Priest, October 14, 2003, p4:

<https://cutt.us/648dj>

⁴⁸ Treasury Targets Al Qaida Operatives in Iran, 1/16/2009, hp-1360: <https://cutt.us/zDIYM>

2- "زواج المصلحة" ... والإقامة:

وبعد اللقاءات السرية بما يشبه "التعارف والتقارب" انقلبت القاعدة إلى ما يشبه "التحالف" مع إيران بعد أحداث 11 أيلول 2001 والغزو الأمريكي لأفغانستان؛ إذ لجأ عدد من قيادات القاعدة وعوائلهم إلى إيران للإقامة بعد الغزو؛ ما مثّل صفقة جديدة رابحة لإيران للاستثمار فيها بعد مساعدتها التحالف الأمريكي على إسقاط طالبان، وقد أحسنت إيران الاستثمار في ذلك من عدة جهات؛ فالقاعدة كسرت نبرة خطابها الهجومي التحريضي ضد إيران، ثم ضغطت إيران بمن صاروا عندها فكسبت تعميماً من القاعدة لكافة عناصرها بعدم استهداف إيران ومصالحها داخل إيران وخارجها.

ومن بين وثائق أبوت آباد وثيقة كتبها أحد قادة القاعدة نشرتها مجلة لونغ وور جورنال⁴⁹، والنظر في الرسالة يبيّن أنها مكتوبة للدفاع عن العلاقة المحرّمة للقاعدة مع إيران، والعنوان يدل على ذلك⁵⁰، فاستغرق كاتبها المقيم مع قادة آخرين من القاعدة في إيران 19 صفحة للحديث عن لجوئهم للإقامة فيها، لكنه يقف في تبريراته عند الفوضى الكبيرة والارتباك والتشتت التي حصلت مع انهيار الإمارة الإسلامية في أفغانستان، وتوزّع عناصر القاعدة بين البقاء للقتال حتى الشهادة في أفغانستان، واللجوء إلى باكستان، واللجوء إلى إيران حيث استقبلتهم الاستخبارات الإيرانية وعاملوهم معاملة طيبة لأنهم "كانوا ينظرون إليهم كأبطال ضربوا أمريكا فعلاً!" ويبيّن رؤية القاعدة لإيران على أنها "كسائر الدول المنتسبة للإسلام زوراً وبهتاناً، وأنها دولة الروافض المارقين، دولة زنادقة الرفض، وأنها هي الدولة الداعمة لمشروع الرفض المدمّر في أمتنا، وأنها عدوّ لنا على المدى البعيد": ليكمل: "وفكرة إخواننا المستمرة إلى الآن بحسب علي - يقول كاتب الرسالة - أيضاً هو المحافظة على الهدوء في إيران، وعدم إحداث أي حدث فيها؛ لِمَا تمثّله إيران من ممرّ ومعبر لإخواننا إلى أفغانستان، وساحة دعم وحركة ولوجستيك، وإن كان كل ذلك بشكل مستتر ومتخفي.. ويرى الإخوة أنهم يحاولون مع إيران بالطرق الدبلوماسية أن تطلق سراح إخواننا المأسورين عندها...؛ وأن الجميع سيكون في خندق واحد ضدّ أمريكا".

ومما يوقف عنده في هذه الوثيقة قول القيادي فيها: "أي شخص يريد أن يضرب أمريكا فإن إيران مستعدة لدعمه ومساعدته بالمال والسلاح وبكل المطلوب مما لا يورّطهم بشكل صريح وواضح، من أمثلة ذلك أنهم عرضوا على بعض إخواننا من السعوديين الذي سقروهم أن يدعموهم بالمال والسلاح وبكل ما يحتاجونه، وعرضوا عليهم التدريب في

⁴⁹ Analysis: CIA releases massive trove of Osama bin Laden's files - BY THOMAS JOSCELYN & BILL ROGGIO - November 1, 2017 :

<https://cutt.us/MVWF>

والوثيقة في رابط مباشر: <https://cutt.us/2jHwW>.

⁵⁰ تحمل الوثيقة عنوان: "رسالة كنت كتبها لأحد المشايخ الكرام في الجزيرة لتوضيح العلاقة مع إيران من زاوية معينة".

معسكرات "حزب الله" في لبنان⁵¹ مقابل ضرب مصالح أمريكا في السعودية والخليج⁵²؛ وبهذه الذريعة "ضرب العدو البعيد أمريكا"⁵³ بزرت القاعدة لنفسها بدء تحالف مع إيران يزيد عن أمر التسهيلات والعبور كما سوف تبين هذه الورقة، وهذا ما جاء حرفياً في كلمة الطواهري إبان الخلاف مع الزرقاوي لاستهدافه إيران والشيعية في العراق، يقول: "وهل ينسى الإخوان أننا والإيرانيين نحتاج أن نتوقف عن إيذاء بعضنا بعضاً في هذا الوقت الذي يستهدفنا فيه الأمريكيون؟"⁵⁴

والملفت أكثر في الوثيقة قوله: "كنتُ شخصياً ممن خرج إلى وزيرستان ثم إلى كراتشي وبقينا فيها حوالي ثلاثة أشهر، ثم جاءتنا أوامر من الإخوة بالتوجه إلى إيران، وكان الكثير من الإخوة كارهين لذلك، ولكن كانت أوامر القيادات هكذا، سواء قيادات القاعدة أو الجماعة المقاتلة أو غيرهم كثير، فدخل جمهرة كبيرة من الإخوة إلى إيران، بعضهم بفيزا رسمية حيث أخذوا التأشيرة من القنصلية الإيرانية في كراتشي، وبعضهم بدون تأشيرة أصلاً". وهذا خلاف ما تزعمه القاعدة من اضطرارها اللجوء إلى إيران ابتداءً؛ بل إيران سعت في طلبهم إليها، وقادة القاعدة أمروا عناصرهم بالتوجه من باكستان إلى إيران. ومما يؤكد الحرص الإيراني على العلاقة مع القاعدة قوله في الوثيقة ذاتها: "كان الإخوة يتدارسون الحلول والمشاكل، فكان من ضمن الاقتراحات التي طرحها بعض الإخوة محاولة الاتصال بـ "حزب الله" في لبنان، وذكر بعضهم أن "حزب الله" فعلاً أرسل مندوباً لا أدري أين وصل ومع من تكلم؛ بلغني أنهم جاؤوا أو أرسلوا عن طريق بعض القيادات الأفغانية، وعرض أي مساعدة لإيواء الإخوة"⁵⁵، وقد نشرت واشنطن بوست - على لسان منشق عن فيلق القدس الإيراني للشرق الأوسط - أن "عماد مغنية" القيادي في "حزب الله" اللبناني "بقي في إيران وخطط شخصياً لهروب عشرات من رجال القاعدة إلى إيران"⁵⁶؛ فلعل مغنية هو ذاته المندوب المذكور في رسالة القاعدي. وكذلك فقد نشرت "لوس أنجلوس تايمز" أن مرشد الثورة الإيرانية "خامني" أرسل مسؤولاً رفيع المستوى إلى أفغانستان لمنح قادة القاعدة ملاذاً آمناً في إيران، وبناءً على ذلك دخلت

⁵¹ سيأتي تفصيل أكثر عن علاقة حزب الله مع القاعدة وداعش في: "أداة إيران في لبنان: "حزب الله" مع القاعدة و"داعش".. تدريب وتنسيق قديم جديد" من الإصدار الثاني لهذه الورقة.

⁵² وجاء في موضع لاحق في الوثيقة: "وهنا بالنسبة للإخوة السعوديين بشكل خاص فقد عرضوا على بعضهم (نفر قليل جداً منهم) ممن رأوا فيه مرونة معهم وليونة ولاحظوا أنهم شباب جدد ما ذكرته لكم من استعدادهم لدعمهم وتدريبهم إذا شأؤوا في معسكرات "حزب الله" في لبنان ومساعدتهم بالمال وغيره إذا أرادوا أن يشتغلوا في ضرب الأهداف الأمريكية في السعودية والخليج". وسيأتي تفصيل أكثر عن تعاون إيران مع القاعدة وداعش لاستهداف دول الخليج العربي في: "بين أحلام إيران وأوهام الغلاة... يستمر التعاون والاستثمار العابر للحدود" من الإصدار الثاني لهذه الورقة.

⁵³ يُنظر: "داعش" إلى أين؟ جهاديو ما بعد القاعدة، مرجع سابق، ص 79.

⁵⁴ "داعش" إلى أين؟ جهاديو ما بعد القاعدة، مرجع سابق، ص 81.

⁵⁵ وجاء في الوثيقة أن آخرين طرحوا التواصل مع نظام صدام في العراق، وأردف بقوله: "طبعاً: كلا الخيارين: الاتصال بـ "حزب الله"، والاتصال بالنظام العراقي لم يحصل؛ لأن معظم الإخوة رفضوا الاقتراحين ولم يقبلوهما". وهذا النفي لا يغير من حقيقة الأمر؛ إذ إن من البديهي ألا يطلع على تفاصيل التخابر والترتيب في مثل ذلك كل العناصر، وقد سبق أن التواصل مع الإيرانيين وحزب الله كان على مستوى بن لادن والطواهري؛ فضلاً عن تأكيد حضور القيادي في حزب الله في انتقال القاعدة إلى إيران من مصادر أخرى.

⁵⁶ Bin Laden Son Plays Key Role in Al Qaeda, Washington Post, By Douglas Farah and Dana Priest, October 14, 2003, p5:

<https://cutt.us/648dj>

قافلة ضمت حوالي 250 من كبار مقاتلي القاعدة إيران من مدينة "هيرات" قبل وقت قصير من سقوطها⁵⁷؛ ما يعكس رغبة كبيرة من القيادة الإيرانية في إنجاز انتقال قادة القاعدة إلى إيران.

وحيث إن الرغبة متحققة من الطرفين باللقاء والتحالف فقد تمّ بين القاعدة وإيران عقدُ ميثاق "عدم اعتداء" كما أسماه مدير CIA حينها مايك بومبيو، أو "زواج المصلحة أو المتعة" كما أسمته صحيفة لوموند⁵⁸، أو "زواج البندقية والرصاص"⁵⁹. وفي وثيقة على لسان بن لادن يردّ فيها على طرفٍ من القاعدة هدّد بشنّ هجمات ضد إيران تأكيداً هذا الميثاق وإلزام جميع العاملين باسم القاعدة به⁶⁰، ففيها قوله: "بالنسبة لمسألة تهديدكم لإيران فلي علمها بعض الملاحظات.. أنكم لم تشاورونا في هذه الأمر الخطير الذي يمسّ مصالح الجميع، وقد كنا نتوقع منكم المشورة في هذه المسائل الكبيرة. فأنت تعلم أن إيران هي الممر الرئيسي بالنسبة لنا للأموال والأفراد والمراسلات، وكذلك مسألة الأسرى... فالرأي عندي تأجيل فتح الجبهة معها، والانصراف كلياً لتثبيت دعائم الدولة والقتال ضد الصليبيين والمرتدين".

وقد شهد على صحة هذا العقد مع إيران كذلك قادةً من القاعدة نفسها؛ فقال عطية الله الليبي: "القاعدة أساتذة تحييد الخصوم، وهم من أفهم الناس لهذه المسائل...؛ انظر كيف حيّدوا إيران وسكتوا عنها طويلاً، وصبروا على هذا السكوت ولاقوا فيه الأذى"⁶¹، ويقول أبو عمر البغدادي مخاطباً حكام طهران: "لطالما تحاشينا الصدام المرحلي بكم من باب السياسة الشرعية؛ راجين أن تعتبروا من التاريخ"⁶².

تتمة الصفقة والرابع طهران:

لم تنكر القاعدة تحالفها مع طهران، بل رأى فيه بعض قادتها نصراً للقاعدة في تحييد الخصوم كما سبق من كلام عطية الله الليبي، لكنّ إيران كانت الرابع الأكبر من هذا التحالف الاستثماري، فاستفادت من القاعدة ثم من

⁵⁷ Iran Helped Al Qaeda and Taliban Flee, Rumsfeld Says, By ESTHER SCHRADER, FEB. 4, 2002: <https://cutt.us/lfhPY>

⁵⁸ يُنظر: القاعدة وإيران: روابط خطيرة، صحيفة لوموند الفرنسية

Al-Qaida - Iran : des liaisons dangereuses - Par Madjid Zerrouky - 08 décembre 2017: <https://cutt.us/QGn4Y>.

وزواج المصلحة: تطور التعاون التكتيكي بين إيران والقاعدة، مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت

Marriage of Convenience: The Evolution of Iran and al-Qa'ida's Tactical Cooperation - ASSAF MOGHADAM - APRIL 2017:

<https://cutt.us/G7gKd>.

⁵⁹ يُنظر: زواج البندقية بين القاعدة وإيران، واشنطن إكسبر،

DNI Clapper: 'Shotgun Marriage' Between Iran and Al Qaeda - by Thomas Joscelyn - February 17, 2012: <https://cutt.us/nKSfZ>

وزواج المتعة بين تنظيم القاعدة والنظام الإيراني، شيماء حفزي، المرجع، 29 يونيو 2018، الرابط: <https://www.almarjie-paris.com/1660>

⁶⁰ حملت الوثيقة عنوان "رسالة إلى كارم"، وهي مؤرخة بـ 18 أكتوبر 2007، ومنشورة ضمن الوثائق التي نشرتها الاستخبارات الأمريكية، الرابط:

<https://www.dni.gov/index.php/features/bin-laden-s-bookshelf?start=2>، والرابط المباشر:

<https://www.dni.gov/files/documents/ubl2016/arabic/Arabic%20Letter%20to%20Karim.pdf>

ويغلب أنها موجّهة إلى قاعدة العراق؛ لأنهم كما سبق ذكره الفرع الوحيد للقاعدة الذي هدّد باستهداف الشيعة وإيران، قبل أن يرجع عن تهديده ويعلن انضمامه للقاعدة.

⁶¹ محاكمة أفكار الغلاة، مرجع سابق، ص 110.

⁶² محاكمة أفكار الغلاة، مرجع سابق، ص 112.

“أخواتها” أضعاف ما استفادته منها⁶³؛ فمع نجاح إيران بإلزام القاعدة -حتى اليوم- بعدم الاعتداء عليها فإنها كانت حاسمةً معها منذ بدء استقطابها عناصر القاعدة، وقابلت الخروج عن تعليماتها بحملات اعتقالات ومداهمات وترحيل لعدد كبير منهم، مع تجميع الآخرين في مراكز محصنة أشبه بالسجون للإقامة الجبرية⁶⁴، ولأن الإيرانيين حسب الوثيقة ذاتها “مع غزو الأمريكان للعراق وسقوط نظام صدام، وبدء الجهاد والمقاومة هناك وبروز الزرقاوي واسم القاعدة بسرعة، وتسارع الأحداث؛ قرروا الاحتفاظ بإخواننا كورقة عندهم”. وقد كانوا كذلك؛ فإيران استثمرت عناصر القاعدة وقادتها عندها مع القاعدة ذاتها لعدم الاعتداء ومشاريع عدوانية أخرى من جهة، واستثمرت ورقة القاعدة مع الولايات المتحدة؛ ففي التسوية التي لجأ بها الإيرانيون لاسترضاء الأمريكيين بعد مخاوفهم من سقوط نظام صدام في العراق عرضوا تسليم عناصر القاعدة عندهم، مقابل تسليم الولايات المتحدة أعضاء منظمة مجاهدي خلق المعارضة لطهران التي كانت تعمل في العراق؛ لكن إدارة بوش الابن رفضت العرض⁶⁵، وهذا ما أكده دبلوماسي إيراني كما كشفت فورين بوليسي⁶⁶.

وهذا الابتزاز وجّه عناصر القاعدة لخطف دبلوماسيين ومسؤولين إيرانيين خارج إيران والمساومة معها عليهم مرات⁶⁷، ومرات أخرى للتفاوض السلمي مع إيران للإفراج عن معتقلهم رسمياً من القيادات⁶⁸؛ دون أن تفوّت إيران فرصة استثمار هذا التفاوض وإطلاق عناصر للقاعدة؛ فترسلهم إلى حيث ينفعها وجودهم كما حصل في إطلاقها

⁶³ يُنظر: علاقة إيران بالتنظيمات الإرهابية – دراسة في سيكولوجية العنف الإيرانية منذ قيام الثورة وحتى الآن، محمد السيد الصياد، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 29 مايو 2016، الرابط: <https://cutt.us/UlaHl> والبرغماتية الإيرانية ودورها تجاه الأزمة السورية (2011-2017)، الدكتور عبد الله راشد العرقان، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 30، مارس 2018، السنة العاشرة.

⁶⁴ كما في الوثيقة المشار إليها سابقاً بعنوان “رسالة كنت كتبها لأحد المشايخ الكرام في الجزيرة لتوضيح العلاقة مع إيران من زاوية معينة”، وفيها: “ولم يغير الإيرانيون سياستهم، بل استمروا في الاحتفاظ بهؤلاء الإخوة في السجون، وجمعوا الإخوة مع عوائلهم في سجون هي كإقامات الجبرية؛ مباني سكنية في مجتمّع من مجتمعاتهم الأمنية المحصنة، وما زال الأمر بهذا الشكل منذ ثلاث سنوات”.

⁶⁵ يُنظر: حلف المصالح المشتركة، مرجع سابق، ص 123-125. ويقول أبو مصعب السوري منظر القاعدة: “اعتقلت إيران على أراضيها أكثر من 400 مجاهد عربي، سلّمت معظمهم لبلادهم كما اعترفت بذلك حكومتها رسمياً، وما يزال ما يقرب من مئة منهم أسرى في إيران بحسب ما ذكرت مصادر الحكومة الإيرانية قيد السجون والمساومات السياسية مع أمريكا”. دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مرجع سابق، ص 733.

⁶⁶ جاء في مجلة فورن بوليسي: “قال روبرتو توسكانو سفير إيطاليا في إيران (2003-2008): إن دبلوماسياً إيرانياً أبلغه أن طهران تأمل في استخدام شخصيات القاعدة كورقة مساومة، وأيضاً كضمان لمنع القاعدة من مهاجمة أهداف في إيران.. الأمل الرئيسي لطهران هو أن تتمكن من مقايضة المعتقلين بقيادة مجاهدي خلق”. عدو عدو إيران

The Enemy of Iran’s Enemy: Al Qaeda’s tangled history with the Islamic Republic - BY BARBARA SLAVIN - AUGUST 1, 2011:

<https://cutt.us/xu0zY>

⁶⁷ يُنظر:

- State Department: Iran continues to host al Qaeda’s ‘core facilitation pipeline’ - BY THOMAS JOSCELYN - July 23, 2017

<https://cutt.us/O63ju>:longwarjournal

:Unlikely Alliance: Iran’s Secretive Relationship with Al-Qaeda - Daniel L. Byman Tuesday, July 31, 2012 - The Brookings Institution

<https://cutt.us/cRwNV>

⁶⁸ يقول زعيم القاعدة بن لادن في مراسلته لأحد قادة القاعدة: “وُستحسن مراسلة الإيرانيين إن أطلقوا سراح أسرتي ولم يطلقوا معهم ابنتي فاطمة بأنهم وعدوا إثر إطلاق أسيرهم لدينا بأنهم سيطلقون سراح أسرتي، وهذا يشمل ابنتي فاطمة، وهي مرتبطة بزوجها؛ وليس من الإنصاف تفرقة النساء عن أزواجهن، فينبغي إطلاق سراحها مع زوجها وزوجته أم حفص”. الوثيقة رقم 2012/19 من وثائق مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت، مرجع سابق، ص 42-43.

اثنين من قادة القاعدة مقابل مسؤول إيران اختطف في اليمن ليظهر القياديين من القاعدة في سوريا بعد مدة ويتم استهدافهما من طيران التحالف⁶⁹، وهذا ما يعزّز موقف إيران ونظام الأسد بدعواهم محاربة "الإرهاب": فوجود رموز من القاعدة يخدم نزع الشرعية عن المعارضة السورية دولياً. وما يؤكد خصوصية سماح إيران للقيادات من القاعدة المقيمين عندها -بخلاف سائر مقاتليها- بالذهاب إلى سورية في إطار استثمارها ما نشرته صحيفة لوموند الفرنسية أن النظام الإيراني "اتصل بأبناء القاعدة ليخبرهم أن وجود مقاتليهم لا يمكن التسامح معه على أراضيه إذا كان الأمر يتعلق بالذهاب إلى سوريا؛ فالتوايا الحسنة للسلطات الإيرانية تجاه القاعدة لها حدود، وسوريا واحدة منها"⁷⁰. فالقاعدة كان لها خطتها؛ لكنها بعد استقطاب عناصرها إلى إيران واحتجاز أبرز القياديين تعطلت كثير من الخطط⁷¹، وأصبحت أبواب عمليات القاعدة مفتوحة حيث تتوافق مع السياسة الإيرانية في الغالب، لذلك تمرد عليها بعض القادة كالزرقاوي⁷²، وصرح قيادي من القاعدة كان في إيران "أبو أنس الليبي": "بل أتكلّم عن نفسي: طالبتُ بتسفيرِي لأي مكان حتى "اسرائيل" قلت لهم: إنها أشرف منكم"⁷³ لأن الوثائق كشفت عن المعاملة السيئة من الإيرانيين للمحتجزين عندهم من قيادات القاعدة بُعيد لجوئهم إليها⁷⁴، مع سيطرة إيران على طرق دخولهم وأماكن إقامتهم وكل ما يجري فيها⁷⁵، وإن كانت حياة عوائل كبار القادة تتردد من لقاء أكبر المسؤولين الإيرانيين - بمن فيهم المرشد الأعلى ورئيس الجمهورية - والرحلات الترفيهية أحياناً إلى التشديد والإغلاق

⁶⁹ Assessing the Threat to the Homeland from al Qaeda Operations in Iran and Syria - Thomas Joscelyn - May 22, 2013 - Foundation for Defense of Democracies: <https://cutt.us/zccj8>.

UN: Iran-based leaders 'have grown more prominent' in al Qaeda's global network - THOMAS JOSCELYN - August 14, 2018 - The Long War Journal: <https://cutt.us/RrUfl>

Iran Released Top Members of Al Qaeda in a Trade - By Rukmini Callimachi and Eric Schmitt - Sept. 17, 2015 - New York Times: <https://cutt.us/EtWZR>

⁷⁰ جاء هذا الكلام على لسان "دومينيك توماس" المتخصص في الشبكات الجهادية أجرته معه الصحيفة:

Les liens complexes entre Al-Qaida et l'Iran - Propos recueillis par Hélène Sallon - le monde - 25 avril 2013: <https://cutt.us/LTsvH>

⁷¹ في شهادة لسيف العدل القيادي من القاعدة الذي كان محتجزاً في إيران قال: "بسبب من إطباق السلطات الإيرانية على ناشطي القاعدة فقد اختل توازننا، ودُمّر أكثر من 75 بالمئة من خططنا". "داعش" إلى أين؟ جهاديو ما بعد القاعدة، مرجع سابق، ص 69.

⁷² "داعش" إلى أين؟ جهاديو ما بعد القاعدة، ص 70 وما بعدها.

⁷³ هو أبو عبد الرحمن أنس السبيعي، جاء كلامه هذا في وثائق بن لادن ضمن رسالة منه إلى قيادة القاعدة ببيان مسائل منها حال عناصر القاعدة في إيران: وثائق أبوت آباد، الملف الكامل بالعربية، ص 368.

⁷⁴ يذكر السبيعي "الليبي" في الوثيقة المذكورة سابقاً أن الإيرانيين كانوا يضعون كاميرات مراقبة للمحتجزين في أماكن احتجازهم دون أن يشعروا، ما اضطرهم لأعمال شغب وتكسير للأبواب والكاميرات، فضلاً عن التحصينات والحراسة المشددة. يُنظر: وثائق أبوت آباد، الملف الكامل بالعربية، ص 365-368.

⁷⁵ كما كشفت تصريحات أبي عبيدة اللبناني الأمني السابق في قاعدة خراسان بعد انشقاقه والتحاقه بتنظيم "داعش" في حوار له مع صحيفة النبا التي يصدرها تنظيم "داعش"، ويرى اللبناني أن إيران كانت تسهّل خروج عناصر القاعدة منها لضمان عدم حدوث أية عمليات على الأراضي الإيرانية. يُنظر: النبا (صحيفة أسبوعية عامة)، العدد 19، جمادى الأولى، 1437، الرابط: https://archive.org/details/naba19_20160226/mode/2up.

ويُنظر بالإنكليزية مقال مناقشة اعترافات اللبناني وتأكيد صحتها:

Abu Ubaydah al Lubnani: AL QAEDA DEFECTOR DISCUSSES GROUP'S SECRETS IN ISLAMIC STATE MAGAZINE - Thomas Joscelyn & David Daoud - May 3, 2016 - longwarjournal: <https://cutt.us/q4vn1>

وقد ردت القاعدة على تصريحات اللبناني برسالة بقلم "أبو كريمة الخراساني" بعنوان: إلجام المارقين - الرد على أبي عبيدة اللبناني في لقائه مع مجلة النبا - 28 فبراير 2016، الرابط: <https://justpaste.it/eljaam>

أحياناً أخرى كما كشفت الغارديان البريطانية ونيوزويك الأمريكية⁷⁶، فلم تكن الثقة قد تأسست بين الطرفين⁷⁷؛ وذلك فيما يبدو للترويض والتحضير للاستثمار الذي نجحت فيه إيران بعد ذلك كما سيتضح.

فمن نجاح إيران في تعاملها مع القاعدة بهذه الطريقة استمرار عدم الاعتداء، ومنع القاعدة أية هجمات تستهدف إيران حتى بعد ظهور "داعش"، فكان مما خاطب به العدناني الناطق باسم "داعش" الظواهري: "وظلت الدولة الإسلامية تلتزم نصائح وتوجيهات شيوخ الجهاد ورموزه؛ ولذلك لم تضرب الدولة الإسلامية الروافض في إيران منذ نشأتها، وتركت الروافض آمنين في إيران، وكبحت جماح جنودها المستشيطين غضباً، رغم قدرتها آنذاك على تحويل إيران لبرك من الدماء، وكظمت غيظها كل هذه السنين تتحمل التهم بالعمالة لألد أعدائها إيران ... امثالاً لأمر القاعدة؛ للحفاظ على مصالحها وخطوط إمدادها في إيران ... فليسجل التاريخ أن للقاعدة ديناً ثميناً في عنق إيران"⁷⁸؛ فالقاعدة ثم "أخواتها" التزموا ميثاق عدم الاعتداء مع إيران، وإن كان كلام العدناني جاء في سياق خلاف "داعش" مع قيادة القاعدة، ولعله قصد منه التشهير بالقاعدة؛ إلا أنه أثبت استمرار "داعش" بالترام عدم مهاجمة إيران رغم إنكاره ارتباط تنظيم "داعش" بالقاعدة بأي بيعة⁷⁹، فلعلها المصالح والاستثمار مرة أخرى جمعت بينهما في هذا الاتفاق.

إيران و"أدواتها" والاستثمار مع الغلاة فيما هو أبعد:

لعله اتضح فيما عُرض حتى الآن أن العلاقة بين القاعدة و"أخواتها" من جهة وإيران و"أدواتها"⁸⁰ من جهة أخرى علاقة معقدة، ونستعرض فيما يأتي ألواناً من الاستثمار الإيراني مع تنظيمات الغلو والتطرف تكشف تلك العلاقة وتشرح تفاصيلها أكثر.

⁷⁶ Osama bin Laden's family on the run: 'I never stopped praying our lives might return to normal' - Cathy Scott-Clark and Adrian Levy - Sat 6 May 2017: <https://cutt.us/HM8IS>

Terror Watch: More Evidence of an Iran-Al Qaeda Connection - BY MICHAEL ISIKOFF - 7/20/2004: <https://cutt.us/5xutt>

⁷⁷ يقول زعيم القاعدة بن لادن في رسالته المذكورة أنفاً لأحد قادة القاعدة عند ترحيل أسرته من إيران إلى باكستان: "ينبغي تنبيههم إلى أهمية التخلص مما أحضروا معهم من إيران، كحقائب السفر أو كل ما يدخل فيه مقدار رأس المخيط؛ حيث إنه قد تم تطوير شرائح للتنصت صغيرة جداً تدخل حقن العلاج. وبما أن الإيرانيين غير مؤتمنين فمن الممكن زرع شرائح في بعض مقتنيات القادمين". الوثيقة رقم 2012/19 من وثائق مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت، مرجع سابق، ص 42.

⁷⁸ من كلمة صوتية للعدناني الناطق باسم "داعش": "عذراً أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، 2014/5/11، الرابط: https://archive.org/details/kalimah_201405

⁷⁹ عالم "داعش"، مرجع سابق، ص 174.

⁸⁰ جرينا في هذه الدراسة على تحديد أدوات إيران بأنها: الأنظمة الحاكمة التي تخضع في غالب سياستها لإيران كنظام الأسد، ومعها تنظيمات "ما دون الدولة" التي تتغلب وتسيطر على مؤسسات دولتها وتوجهها وفق السياسة الإيرانية، كحزب الله في لبنان.

التدريب⁸¹:

إذا كان تدريب إيران عناصر "تنظيم الجهاد" بقيادة الظواهري ضد النظام المصري خارج سياق القاعدة؛ فإن معسكرات "حزب الله" اللبناني - وفقاً للوثائق والشهادات وعدد من دراسات المراكز العالمية - احتضنت عناصر من القاعدة للتدريب على المفخخات والاستخبارات بإشراف إيراني في وقت مبكر خلال التسعينات كما سيأتي⁸²، فيما يمكن تسجيله كأول تدريب بين الطرفين، وهذا ما كشفت فورين بوليسي وغيرها أنه "اتفاق غير رسمي للتعاون في تقديم الدعم حتى لو كان التدريب فقط" تم في التسعينيات بين القاعدة وإيران، وسافر بناءً عليه قادة ومدربون كبار من القاعدة إلى إيران وآخرون إلى سهل البقاع اللبناني، وأفادوا من ذلك كثيراً في تطوير خبراتهم التكتيكية⁸³. وبقية لـ "حزب الله" هذه المشاركة في تدريب الغلاة؛ كما حصل في تأهيله وتدريبه عناصر من "داعش" في معسكراته داخل الأراضي اللبنانية ثم دخولهم إلى جنوب سوريا لضرب الثوار هناك، عبر عناصر تتبع للفروع الأمنية التي تسيطر عليها إيران في دمشق⁸⁴.

ومرّ ما كان من عرض إيران على بعض الذين لجؤوا إليها للتدريب والتجهيز لزعزعة استقرار دول الخليج العربي واستهداف القوات الأمريكية في السعودية والخليج، ويبدو من متابعة الاستخبارات الغربية أن عناصر القاعدة رفضت آنذاك هذا التدريب؛ ولعل ما وجدوه من تحالف الشمال المدعوم من إيران في أفغانستان، والعداوة الأصلية للتشييع الإيراني كان السبب في ذلك⁸⁵، فضلاً عن المعاملة السيئة التي قُوبل بها بعضهم في إيران كما سبق. وقبل حادثة 11 سبتمبر أقامت القاعدة معسكر تدريب في هيرات على الحدود الأفغانية الإيرانية، وكان فيه الزرقاوي وسيف العدل، وكان المعسكر للتدريب ولتهريب عناصر القاعدة إلى إيران بعد ذلك⁸⁶؛ ولا يمكن تجاهل إقامة هذا المعسكر المهم للقاعدة قرب حدود إيران التي تراقب ما يجري في أفغانستان بدقة، بل تدعم تحالف

⁸¹ تم التركيز إجمالاً على التدريب العسكري، وثمة جوانب أخرى تحتاج مزيد بحث بالنظر إلى أثرها الكبير في خدمة الطرفين على حساب دول المنطقة وشعوبها، كالتميز الإعلامي الملفت الذي كان كفيلاً بتغيير قناعات الرأي العام في العالم حول الثورة السورية ومشروعيتها، وكذلك التميز التكنولوجي.

⁸² سيكون لهذا تفصيل في الإصدار الثاني من هذه الورقة تحت عنوان: "أداة إيران في لبنان: "حزب الله" مع القاعدة وداعش... تدريب وتنسيق قديم جديد".

⁸³ **The Hidden Hand: The Obama administration finally highlights Iran's key role in supporting al Qaeda**, Foundation for Defense of Democracies, August 8, 2011: <https://cutt.us/TXhKK>

The Odd Couple, Iran and al Qaeda might seem like strange bedfellows. But their relationship goes back years. BY DANIEL BYMAN, FEBRUARY 21, 2012: <https://foreignpolicy.com/2012/02/21/the-odd-couple/>

وEnemy of Iran's Enemy، مرجع سابق.

⁸⁴ حسب شهادة قاضي شرعي كان في الجنوب، وشارك في ملاحقة أحد العناصر المسؤولين عن نقل متدربي "داعش" من معسكرات "حزب الله" في لبنان إلى دمشق ثم إلى درعا، واعترف بعضهم بالتبعية للمخابرات الجوية بدمشق وآخرون لفرع أمن الدولة.

تمت المقابلة مع القاضي في ريف حلب بتاريخ 2020/6/16.

⁸⁵ **Qassem Soleimani and Iran's Unique Regional Strategy** - ALI SOUFAN - NOVEMBER 2018, VOLUME 11, ISSUE 10: <https://ctc.usma.edu/qassem-soleimani-irans-unique-regional-strategy>

⁸⁶ **The Last Hope for the al-Qa'ida Old Guard? A Profile of Saif al-'Adl** - ARI R. WEISFUSE - MARCH 2016, VOLUME 9, ISSUE 3: <https://ctc.usma.edu/the-last-hope-for-the-al-qa-ida-old-guard-a-profile-of-saif-al-adl>

الشمال العدو الكبير لإمارة طالبان التي تحتضن القاعدة؛ ما يرجح كذلك سماحها بإقامة المعسكر للاستفادة منه لاحقاً كما حصل⁸⁷.

وفي وثائق "أبوت آباد" أدلة على معسكرات تدريبية لعناصر القاعدة داخل إيران؛ ففي رسالة مؤرخة بما يقابل (حزيران 2010) من شرعي القاعدة عطية الله الليبي لأسامة بن لادن عن قياديين يرتبون دخوله لإيران، يقول الليبي: "ننتظر التأكيد الكامل والنهائي منكم للتحرك بالفعل والموافقة على هذه الواجهة إيران مبدئياً؛ لأن فكرته هي البقاء ثلاثة شهور في إيران لإعطاء الإخوة دورة هناك، ثم البدء في تحريكهم موزعين على الدنيا لمهامهم وتخصصاتهم التي شرحها لكم في تقاريره ومشروعه"⁸⁸. وهذا ما أكدته اعترافات عناصر في القاعدة تلقوا تدريبات عسكرية وتقنية على التفجير في إيران لتنفيذ هجمات في دول الخليج وغيرها⁸⁹؛ وفي هذا تأكيد لتورط إيران مع الغلاة المتطرفين في سائر عملياتهم التي حدثت، لأنها كانت تراقب بشدة كل تحركات عناصر القاعدة على أراضيها وترصد اتصالاتهم كافة، ولا يمكن أن تتركهم يتحركون ويتواصلون إلا فيما يخدم أهدافها.

وتحت عنوان "ماذا لو فهمنا أن القاعدة و"داعش" رعايا إيران؟" نشرت مجلة فوين بوليسي عن برقيات أمريكية أظهرت صلات لإيران بالقاعدة في العراق؛ إذ درّبت طهران عناصر من الغلاة المتطرفين على استخدام الاسترات الانتحارية في العراق بعد الغزو الأمريكي⁹⁰. وهذا يتفق مع تسهيلات نظام الأسد والمعسكرات التدريبية التي أقامها لعناصر القاعدة في تلك الفترة⁹¹؛ فإيران وأداتها في سورية "نظام الأسد" يعملان في الخطة ذاتها للاستثمار في تنظيمات الغلو والتطرف، ولذلك عادت إيران لتدرك تنظيم "داعش" بعد أن أنهك، فأكمل قاسم سليمان مهمته في التنسيق والاتصال مع القاعدة قبل مقتله، وكما أفادت تقارير استخباراتية غربية فقد أرسل سليمان خمسة من قادة القاعدة الموجودين في إيران إلى دمشق للاتصال بمقاتلين وقادة من "داعش" لتشجيعهم على الانشقاق وتوحيد القاعدة مع فلول "داعش" في تشكيل متطرف جديد⁹².

⁸⁷ قد يُتوهم أن إقامة المعسكر كان لاستهداف القاعدة لإيران من خلاله؛ لكن هذا يدفعه الواقع الذي لم يسجل أية عمليات استهداف لإيران منه، لاسيما من مؤرخ تلك المرحلة "مصطفى حامد" الذي نقلنا عنه سابقاً، وكذلك تدفعه القرائن الأخرى مما تم عرضه عن عدم الاعتداء في أقل الدرجات بين الطرفين. ولعل إقامة ذلك المعسكر في منطقة جديدة قرب الحدود الأفغانية الإيرانية كانت للابتعاد عن حدود باكستان التي صارت تتهمها القاعدة لاحقاً بالتنسيق مع الأمريكيين ضدها، وتمهياً أكثر من رقابة إمارة طالبان التي لم تكن قيادة القاعدة تعابها ولا تنضبط بتوجهاتها، لاسيما وأنها خانتها كما ظهر ببدء علاقة سرية مع إيران في الوقت ذاته الذي كانت تحارب إقامة الإمارة علاقة معها.

⁸⁸ وثائق أبوت آباد، الملف الكامل بالعربية، ص203.

⁸⁹ تفاصيل العلاقة التي جمعت وزير إعلام القاعدة بإيران، العربية، 21 سبتمبر 2017، الرابط: <https://cutt.us/HllgO>

⁹⁰ Iran and its Protégées - What if we understood al Qaeda and the Islamic State as protégées of Iran? BY RAYMOND TANTER | JULY 6, 2016: <https://foreignpolicy.com/2016/07/06/iran-and-its-protégées/>

⁹¹ سيأتي هذا في فقرة "أدوات إيران في سورية ... الأسد وتمكين القاعدة في العراق ولبنان" ضمن الإصدار الثاني من هذه الدراسة.

⁹² يُنظر: القاعدة أعادت بناء نفسها بمساعدة إيران - The Atlantic، Al-Qaeda Has Rebuilt Itself—With Iran's Help، مرجع سابق. وتهديد إيران إلى الأمن الدولي ... تنظيم القاعدة في إيران، المركز الأوربي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، ألمانيا وهولندا، 16 مايو 2019، الرابط: <https://cutt.us/TXoop>، وزواج المتعة بين تنظيم القاعدة والنظام الإيراني - المرجع، مرجع سابق. وأدلة تدعم تقريراً أممياً عن تزايد دعم إيران للقاعدة، أخبار 24، 2018/8/16، الرابط: <https://cutt.us/ysqOf>

الدعم بالمال والسلاح والذخائر:

تسخر إيران "الوليّ الفقيه" ثروات بلادها لخدمة مشروعها التوسعي و"تصدير ثورتها"⁹³؛ فهي لا تقف في الاستثمار مع تنظيمات الغلو والتطرف عند التدريب، بل امتدّ دعمها إلى المال والسلاح؛ وليس المراد بهذا ما اعترفت به القاعدة ذاتها في وثائقها من كون إيران أهم ممرّ لها للمال والسلاح⁹⁴، ولا ما ساعدت فيه مخبرات نظام الأسد بين سوريا والعراق⁹⁵ فحسب؛ فمما جاء عن دعمها القاعدة في العراق ما قاله ضابط في الاستخبارات الأردنية عن الزرقاوي وإيران: "لدى الإيرانيين سياسة؛ يريدون السيطرة على العراق، وجزء من هذه السياسة كان دعم الزرقاوي تكتيكياً وليس استراتيجياً؛ ففي البداية أعطوه أسلحة آلية وزيّاً عسكرياً وعتاداً عسكرياً عندما كان في صفوف جيش أنصار الإسلام. الآن هم فقط يغضّون الطرف عن أنشطته وأنشطة القاعدة بشكل عام"⁹⁶، وهذا هو الاستثمار الإيراني مع الغلاة، رغم أن الزرقاوي نفسه خرج عن خط القاعدة وهاجم الشيعة والأهداف الإيرانية قبل أن يُسوّى خلافه مع القاعدة، ويلتزم بعدم استهداف إيران والشيعة.

وكان تنظيم القاعدة ضمن المنظمات الإرهابية التي جعلت وزارة الخزانة الأمريكية تصنّف وزارة المخابرات والداخلية الإيرانية كداعمة للإرهاب لعام 2011 وما بعده⁹⁷، ما فضح أكثر دعم إيران للغلاة المتطرفين⁹⁸؛ إذ جاء في تصريح الوزارة الأمريكية: "إن وزارة الداخلية [الإيرانية] سهّلت حركة عناصر القاعدة في إيران، وزوّدهم بالوثائق وبطاقات الهوية وجوازات السفر، بالإضافة إلى ذلك قامت وزارة الداخلية بتوفير الأموال والأسلحة لتنظيم القاعدة في العراق، وتفاوضت على إطلاق سراح سجناء لعناصر القاعدة"⁹⁹.

ولعل افتضاح هذه العلاقة لإيران بالقاعدة دفع عائلات ذوي ضحايا هجمات 11 أيلول / سبتمبر لطلب تعويضات من إيران بسبب تقديمها دعماً مالياً ولوجستياً لتنظيم القاعدة الذي يقف خلف الهجمات، فأمرت محكمة في

⁹³ يُنظر: التقرير التحليلي "تصدير الثورة والتحويلات في السياسة الإيرانية"، مرجع سابق.

⁹⁴ يُنظر: السلطة السوداء، ص 315، و DNI Clapper: 'Shotgun Marriage' Between Iran and Al Qaeda، مرجع سابق.

⁹⁵ فضلاً عما سيأتي من هذا عند الحديث عن دعم نظام الأسد للقاعدة فقد "أدرجت وزارة الخزانة الأمريكية (عام 2008) أربعة أفراد يسهّلون ويتحكّمون في تدفق الأموال والأسلحة للإرهابيين عبر سوريا إلى القاعدة في العراق، بما في ذلك قادة القاعدة في العراق"، ومنهم قائد الدعم اللوجستي للقاعدة في العراق أبو غادية الذي كان مقرّه في سوريا؛ ولا يخفى أنه كان تحت أنظار ورعاية مخبرات الأسد آنذاك. يُنظر:

Treasury Designates Members of Abu Ghadiyah's Network Facilitates flow of terrorists, weapons, and money from Syria to al Qaida in Iraq - 2/28/2008: <https://www.treasury.gov/press-center/press-releases/Pages/hp845.aspx>

⁹⁶ The Short, Violent Life of Abu Musab al-Zarqawi: How a video-store clerk and small-time crook reinvented himself as America's nemesis in Iraq - MARY ANNE WEAVER - JULY/AUGUST 2006: <https://cutt.us/YJUHj>. ISIS: Inside the Army of Terror, 20.

⁹⁷ Treasury Department Accuses Iran of Supporting al Qaeda - JEFFREY GOLDBERG - JULY 28, 2011: <https://cutt.us/XPgEk>. Unlikely Alliance: Iran's Secretive Relationship with Al-Qaeda - Daniel L. Byman Tuesday, July 31, 2012: <https://cutt.us/KNE5E>

⁹⁸ عُثِر في أحد المقرات التي هرب منها على عجل عناصر "داعش" في غربي حلب على مجموعة من الوثائق، منها شرائح هواتف إيرانية وجوازات سفر إيرانية وجوازات سفر كازاخستانية عليها ختم دخول إيراني دون ختم مغادرة؛ ما كشف تهريب إيران أو تسهيلها انتقالهم إلى سوريا، ووردت أسماء بعض أصحاب الجوازات في نشرة وزارة الخزانة الأمريكية لقائمة الداعمين للإرهاب والممولين. يُنظر: السلطة السوداء، ص 155.

⁹⁹ Assessing the Threat to the Homeland from al Qaeda Operations in Iran and Syria - Testimony before the House Committee on Homeland Security - May 22, 2013: <https://cutt.us/elQBt>

نيويورك بتعويضات بمليارات الدولارات لمن تقدّموا بالدعوى¹⁰⁰، وفي الوثائق المنشورة عن هذه الدعوى عدة شواهد على الدعم المالي من إيران لجماعات الغلو والتطرف¹⁰¹.

وسياتي ذكر الأسلحة التي سلمتها وحدات الجيش العراقي لـ "داعش" بأمر رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي بتوجيه من إيران عند سقوط الموصل¹⁰² في صفقة لم تكن الوحيدة لإيران في دعم تنظيمات الغلو والتطرف؛ بل "الصفقات مع "داعش" نهج إيراني بامتياز"¹⁰³.

وهذا النهج من الغلاة تسنده فتاوى شرعيّهم؛ فمما عُثر عليه في وثائق "أبوت آباد" سؤال وجّه لشرعي القاعدة "عطية الله الليبي" من عناصرهم في غزّة حول الاستفادة من أموال إيران التي تدعم بها فصائل فلسطينية، فكان من جوابه: "كون أموال حركة الجهاد أصلها من الدعم من الدولة الراضية (إيران) فلا يضرّ في حدّ ذاته؛ أعني أنه يجوز الأكل مما يُعطى الإنسان منه وقبوله إن شاء الله. فإنها دولة كافرة عندنا، وقبول أموال الدول والملوك الكافرة جائز في ذاته"¹⁰⁴.

المعلومات والاستخبارات:

حرصت إيران على ضمان تفوّق الغلاة على خصومهم المحليّين؛ على ألا يبلغوا القدرة على الإضرار بها وأدواتها وتجاوز خطوطها الحمراء معهم، على نحو ما رأينا في تعاملها مع عناصر القاعدة المقيمين في إيران وأرادوا الانتقال للقتال في سوريا، فسمحت للقادة منهم بما يخدم أهدافها¹⁰⁵.

¹⁰⁰ Iran ordered to pay billions to relatives of 9/11 victims - By Aaron Katersky - 2 May 2018: <https://cutt.us/11Ud5>

ومحكمة أميركية تغرّم إيران لتورطها بهجمات 11 سبتمبر، 2016/3/11، الجزيرة، الرابط: <https://cutt.us/9dvCo>

¹⁰¹ نشرت صحيفة الشرق الأوسط ست وثائق من سجلات تلك المحاكمة، وقدّرت أن التعويضات المفروضة على إيران ستتجاوز 21 مليار دولار. يُنظر: "الشرق الأوسط" تكشف بالوثائق حيثيات حكم إدانة إيران وحزب الله في هجمات 11 سبتمبر، "الشرق الأوسط"، 17 مارس، 2016، الرابط:

<https://aawsat.com/print/593861>

¹⁰² سيأتي الحديث عن هذا في الإصدار الثاني من هذه الدراسة تحت عنوان "أدوات إيران في العراق... وإنعاش "داعش"."

¹⁰³ يُنظر: الصفقات مع "داعش" نهج إيراني بامتياز، عمر الرداد (عميد سابق في المخابرات الأردنية)، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى،

<https://cutt.us/7FP22>:2017/12/20

¹⁰⁴ وفي الوثيقة ذاتها سؤال عن أموال تجارة المخدرات، فكان جواب الليبي: "وأما إذا كان هؤلاء التجار الذين يتاجرون بالحرام كالمخدرات يتصدقون بأموالهم في سبيل الله؛ فالذي يظهر لي والله أعلم جواز صرف هذه الأموال في الجهاد في سبيل الله، لأن هذه الأموال اكتسبت من حرام، فوجب على صاحبها التوبة، ومن التوبة التحلل من هذه الأموال وألا تبقيها في ملكه، وطريق ذلك وضعها في بيت مال المسلمين، فتُصرف في مصالح المسلمين، ومنها الجهاد والغزو في سبيل الله أو التصدّق بها". الوثيقة 2012/8، مركز مكافحة الإرهاب بويست بوينت، مرجع سابق.

¹⁰⁵ يُراجع الكلام على هذا في فقرة "تنمة الصفقة... والرابح طهران" من هذا الإصدار.

وفي اعترافات لضابط عراقي سابق كان قيادياً في "داعش"¹⁰⁶: أن إيران تُمدّد "داعش" بالمواد المتفجرة (C4 وTNT)، وبيع بعض الأسلحة الأمريكية والأوروبية التي كانت إيران تشتريها من أفراد حتى لا يُكشف أمرها، وإذا كُشف فإن السلاح أمريكي وأوروبي¹⁰⁷.

ولأن الحربَ اليوم في جزء كبير منها حربٌ معلّومة واستخبارات، وامتازت تنظيمات الغلو والتطرف بانضمام عدد كبير من ضباط وأمنيين سابقين إليها فقد استفادت إيران من هذا معهم؛ فمما كشفه رقيب سابق في الجيش الأمريكي كان عضواً في تنظيم القاعدة أن "إيران دفعت للظواهري ميلوني دولار مقابل إمدادها بمعلومات عن خطة مصر والإمارات للسيطرة على الجزر الإماراتية التي تحتلها إيران"¹⁰⁸.

وقد سبق بيان جهود أجهزة الاستخبارات لاختراق تنظيمات الغلو والتطرف، والاستثمار فيها بما يصرف أنشطتها الإرهابية عن أراضي تلك الدول من جهة، أو يجعلها تذهب في الاتجاه الذي يحقق أهدافها تجاه خصومها من جهة أخرى¹⁰⁹. ولعله من هذا جاء قول القيادي السابق في القاعدة "أبو خالد السوري" الذي قتلته "داعش" في ريف حلب: "الدولة الإسلامية هي الرواية الأخيرة بالنسبة لجميع أجهزة المخابرات في سوريا وإيران"¹¹⁰.

الدعم الميداني ضد الخصوم:

من المفارقات التي يُتوقف عندها مع ثبوت التعاون الإيراني مع الغلاة ودعمهم أن إيران دعمت بقوة تحالف الشمال الذي كان له أثر ميداني كبير في سقوط إمارة طالبان في أفغانستان وإضعاف تنظيم القاعدة، ثم هي ذاتها استقطبت القاعدة وأبرمت معها ما يشبه "اتفاق عدم اعتداء"؛ لكنّ التدقيق في الأمر يُحيل إلى أن إيران تعارض بشدة قيام دولة سنّية مستقرة على حدودها في أفغانستان¹¹¹، وكذلك تريد لتنظيمات الغلو والتطرف أن تمشي بما يخدم أهدافها؛ فهي تقوّيها ضد خصومها المحليين من جهة كما سبق، وتفاوض على التضحية بها - وربما تضربها بنفسها - من جهة أخرى.

106 حصرياً.. قيادي "داعشي" للمجلة: البغدادي زعيم ظلّ ومازن نهيري رجل "داعش" الأول، المجلة، 30 أغسطس 2016، الرابط:

<https://cutt.us/OLcNf>

107 جاء إدراج هذه الفكرة هنا، وليس في الدعم بالمال والسلاح؛ لما فيها من الاحتيال في بناء شبكة العلاقات والمعلومات بين الطرفين لضمان تفوقها على الطرف الآخر من خلال الدعم بشي مميز يضمن لها التفوق.

108 يُنظر: البروج المشيدة، مرجع سابق: ص 197، وزواج المتعة بين القاعدة والنظام الإيراني - المرجع، مرجع سابق.

109 تُراجع فقرة "تنظيمات الغلاة بين الاختراق والاستثمار تخدم الأعداء" في هذا الإصدار.

110 نقل كلام السوري حارسه الشخصي الذي كان معه حتى مقتله. يُنظر تفصيل قصة مقتله على لسان حارسه في: السلطة السوداء، ص 146 وما بعدها.

111 من شهادة الدكتور عبد الله عزّام بإيران وتدخّلها في أفغانستان قوله: "إيران ترتجف من قيام دولة إسلامية سنّية صحيحة في أفغانستان ... يكرهون أن تقوم دولة سنّية بجانبهم فتوقف المدّ الشيعي في المنطقة. إيران تحلم بأن تكون إمبراطورية شيعية من إيران عبر باكستان ثم العراق ثم سوريا ثم لبنان ثم جنوب تركيا ... كانت إيران تحلم وتظنّ أن الجهاد سيسقط وتقتسم أفغانستان". يُنظر: من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران، أسامة شحادة، كتاب الراصد 7، ص 83-84.

لكنها لا تقبل عموماً أن تكون الغلبة لجهات لا سلطة لها عليها ولا استثمارات لها فيها؛ وهذا ما جرى من دعم إيران و"أدواتها" للقاعدة و"أخواتها" على امتداد خارطة نفوذها¹¹².

فتنظيم "داعش" انتهب مناطق واسعة بين سوريا والعراق في فترة زمنية قصيرة، وبتسهيلات من أدوات إيران في المنطقة، لكنه لم يخرج عما يُراد للمتطرفين الغلاة من ضرب قوى الثورة؛ فاستهدفوا بالتعاون مع استخبارات الأسد عدداً من الشخصيات المعارضة من قادة ميدانيين ووجهاء وصحفيين¹¹³، وضربوا المعارضة السورية للاستحواذ على المناطق التي حررتها من نظام الأسد، دون تسجيل أية مواجهة فاصلة لهم مع قوات النظام¹¹⁴، وفي مقابل ذلك يترك لهم النظام حرية الحركة في مناطق سيطرته؛ فكما كشف قائد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط الجنرال فرانك ماكترزي فإن عناصر تنظيم "داعش" يتحركون بحرية في مناطق سيطرة النظام السوري، ويعملون على تجميع قواهم غرب نهر الفرات¹¹⁵، ولم يجد نظام الأسد مانعاً من مؤازرة المتطرفين ضد فصائل الثورة السورية في أكثر من موضع¹¹⁶.

وما بدا أكثر من التقاء المصالح، بل هو نوع من التعاون العسكري الميداني تدخّل طيران الأسد في أهم معارك "داعش" ضد قوى الثورة والمعارضة بعد المعركة فوراً -وأحياناً أثناء الاشتباكات- لقصص مواقع فصائل قوى الثورة والمعارضة دون قصص مواقع "داعش"؛ حتى إن أحد مقاتلي "داعش" قال لصحفيٍّ من نيويورك تايمز: "الحمد لله؛ أن معظم الضربات الجوية استهدفت المدنيين، وليس مقرات الدولة الإسلامية"¹¹⁷! في عقاب لمن يخالف المتطرفين، ومثل هذا العقاب لمن يخرج على الغلاة المتطرفين فعلته إيران من خلال الحرس الثوري بأكراد قاتلوا "داعش" في العراق من التعذيب والتسميم، كما كشفه مركز ميدل إيست فوروم الأمريكي¹¹⁸.

وحيث إن الاستثمار يعود بمردود على صاحبه "إيران وأدواتها" فلم يكن لجوء نظام الأسد وحلفائه للغلاة لضرب الثورة السورية وتعديل صورتهم أمام المجتمع الدولي كمحاربين للإرهاب فحسب؛ بل لجأ إليها لضرب من لا يسمع

112 يقول كريستوف رويتر: "ما دام بشار الأسد سيبقى في السلطة فلا داعي أن يقلق "داعش" كثيراً بخصوص نصف دولة الخلافة؛ إذ لا يمكن للأسد أن ينتصر على الجهاديين، كما أنه لا يريد أن يختفوا تماماً. الوجود الخطر للدولة الإسلامية هو أفضل شرعية للنظام السوري؛ لكي يتمكن من المضي قدماً في إعادة جميع المناطق المقاومة في البلاد، دون أن تضايقه التدخلات الأجنبية".

وكريستوف رويتر: صحفي ألماني أنجز كتابه "السلطة السوداء: الدولة الإسلامية واستراتيجيو الإرهاب" بالاستناد إلى كمية هائلة من الوثائق والمقابلات الشخصية والبحث المتعمق؛ فكتابه "السلطة السوداء" وثيقة تاريخية مهمة في دراسة تنظيمات الغلو والتطرف. وقوله هذا في: السلطة السوداء، مرجع سابق، ص 326.

113 ومن لقاءات شخصية لشهود ميدانيين يكشف رويتر عن عدد من ضباط سابقين في المخابرات السورية ظهروا مجدداً في مناطق مختلفة على أنهم أمراء في تنظيم "داعش"، وساعدوا في اغتيال الشخصيات الوطنية المعارضة. السلطة السوداء، ص 142 و 160.

114 يُنظر: تحديد معالم الدولة الإسلامية، تشارلز ليستر، دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز، الدوحة، رقم 13، ديسمبر 2014، ص 16. واستراتيجية تنظيم الدولة الإسلامية: باقية وتتمدد، مرجع سابق.

115 الجيش الأمريكي: تنظيم الدولة حَرّطليق في مناطق نظام الأسد، نداء سوريا، 12 آب 2020، الرابط: <https://nedaa-sy.com/news/21773>

116 يُنظر: المواجهة مع "داعش": أسبابها ومآلاتها المحتملة، حمزة المصطفى، مجلة سياسات عربية، العدد 7، آذار 2014.

117 ISIS: Inside the Army of Terror, 142

118 Kurds Who Fought ISIS Now Hunted by Iran's Regime - by Seth Frantzman - August 28, 2018: <https://cutt.us/2k75j>

له ويطيع، وتجلى ذلك بقوة في الأحداث التي شهدتها السويداء، ويلخص تلك الأحداث ما جاء على لسان "لونا الشبل" المستشارة الإعلامية في القصر الجمهوري لأبناء السويداء خلال لقاء وفد أبناء المحافظة: "لولا تواطؤكم لَمَا سقطت بصرى الشام بيد الإرهابيين. طالبناكم بالانضمام إلى الجيش والدفاع الوطني؛ لكن قلة قليلة منكم لبّت نداءنا، فسقطت بصرى بيد التكفيريين"، وأضافت: "على كل حال؛ إذا لم تنضموا إلى الجيش ف" داعش" ليست بعيدة، وهي قادرة على الوصول إليكم خلال ساعات"¹¹⁹. وهذه الصراحة والجرأة من "الشبل" تفضح التنسيق والتواطؤ بين الأسد و" داعش" لضرب السويداء بعد إحجام أبنائها عن الالتحاق بجيش النظام، وهذا ما أكّده النائب اللبناني وليد جنبلاط في تعليقه على هجمات "داعش" في السويداء¹²⁰.

وقد كشفت مجلة فورين بوليسي أن نظام الأسد وإيران ساعدا في صعود القاعدة ثم تنظيم "داعش"؛ فواصلت الطائرات الحربية الروسية والسورية تقديم الدعم للمتطرفين، مع الحفاظ على الإنكار المعقول لتنظيم "داعش" أثناء تقدّمه في المناطق التي يسيطر عليها المتمردون - وفق تعبير فورين بوليسي - وامتنعت في غضون ذلك "داعش" وقوات الأسد عن مهاجمة بعضها البعض في وفاقٍ ودّي¹²¹؛ ففي الفترة التي كانت البراميل المتفجرة من طائرات نظام الأسد تسويّ أحياء بأكملها، وقتلت آلاف الناس بقي مقرّ "داعش" الرئيس في قصر المحافظ بالرقّة مكشوفاً مزيناً بالرايات لسنة ونصف دون أن يتعرّض لأيّ قصف¹²²! وهذا ما جاء عن قائد في تنظيم "داعش" حينما خشي الناس من رفع راية التنظيم، فأجابهم الأمير الـ "داعشي": "إذا رفعت راية الدولة الإسلامية فلن تقصفكم طائرات الأسد إطلاقاً"¹²³.

119 من شهادة في دراسة حقوقية تفضح التواطؤ بين نظام الأسد والمتطرفين الغلاة في أحداث الجنوب السوري، يُنظر: التوظيف في الصراعات الضدية: سلطة الأسد وتنظيم الدولة الإسلامية في محافظة السويداء، يوسف فخر الدين وهمام الخطيب، المركز السوري للدراسات والأبحاث القانونية ومركز دراسات الجمهورية الديمقراطية، أيار 2020، ص 43 وغيرها.

120 يُنظر: بعد أحداث السويداء... وليد جنبلاط يتساءل: ألم يقل النظام "الباسل" إن خطر "داعش" انتهى؟ سي إن إن بالعربية، 25 تموز 2018، الرابط: <https://cutt.us/6iu3d>، والسويداء ضحية لـ "داعش" أم لعملية تأديب؟ الشرق الأوسط، 25 تموز 2018، الرابط: <https://cutt.us/IKyoT>

121 Iran and its Protégées، مرجع سابق.

122 السلطة السوداء، ص 160.

123 السلطة السوداء، ص 143.

خاتمة:

يتبين من خلال ما عُرض في هذا الإصدار حرصُ مختلف أجهزة الاستخبارات على اختراق جماعات الغلو والتطرف، وما كان لإيران بشكل خاص من اختراق "داعش" حتى أعلى مستوى في قيادتها، ومن قبلها استطاعت الاستثمار في علاقتها مع القاعدة بهدف التأثير في مسارها والحصول على معلومات من داخلها، بحيث أصبحت قابلة للتوظيف في تنفيذ أجنادات الدول - وإيران خاصة - لتحقيق مآربها وتحييد أراضها ومواطنيها أن تكون في دائرة أهداف تلك الجماعات.

كما اتضح نضوج علاقة تنظيم القاعدة - وهو في مقام الأمّ لما جاء بعده من جماعات الغلو والتطرف - مع إيران بعد سقوط إمارة طالبان في أفغانستان، مع أن التنظيم ذاته كان أحد أسباب توتر العلاقة بين طالبان وإيران خلال مدة حكم طالبان، فاستطاعت إيران استقطاب قيادات القاعدة ليجعلوا عوائلهم في أراضها وليس في باكستان حيث كانوا، ليصبحوا بعد ذلك ورقة ضاغطة لإيران على القاعدة كسبت بها تعميماً من قيادة التنظيم لكافة عناصره بعدم استهداف إيران ومصالحها داخل إيران وخارجها. دون أن تخفي قيادة القاعدة وعناصرها هذه العلاقة، إذ رأوا فيها "مهارة في تحييد الخصوم"؛ مع أن إيران استفادت من تلك العلاقة بجماعات الغلو والتطرف أضعاف ما استفادته هي منها. دون أن يقف الأمر عند القاعدة؛ فقد استمرت "داعش" بعد خلافها مع "جبهة النصرة" وقيادة القاعدة بالالتزام بعدم مهاجمة إيران رغم إنكار قادتها ارتباط "داعش" بالقاعدة بأية بيعة.

وعرض الإصدار بعد ذلك ألوان الاستثمار الإيراني في علاقته بجماعات الغلو والتطرف، وقد جاءت أدلة على تلك العلاقة وشواهد علمها من خلال ما أثبتته الوثائق والشهادات ودراسات المراكز العالمية؛ وأول ذلك التدريب الذي ابتدأت به علاقة إيران بالقاعدة من خلال تدريب عناصرها على أيدي عناصر من "حزب الله" في لبنان، حتى معسكرات التدريب التي كانت لعناصر القاعدة داخل إيران وفي سوريا تحت إشراف قادة النظام السوري الأمنيين، مع الدعم الإيراني المباشر وعبر أدواتها في المنطقة لجماعات الغلو بالمال والسلاح والذخائر في العراق وسوريا، ومن ذلك الدعم معلومات استخباراتية وتقنيات عسكرية زوّدت إيران بها القاعدة و"داعش" أو سهّلت حصولها عليها. ليتمتد الأمر إلى التعاون الميداني بين الطرفين والدعم ضد الخصوم في معارك كثيرة بين العراق وسوريا؛ فكانت تنظيمات الغلو والتطرف أقوى ضربة استعانت بها إيران وأدواتها ضد الثورة السورية.

وسيبحث الإصدار الثاني من "استثمار إيران في جماعات الغلو والتطرف" وهو بعنوان: "إيران والتنظيمات المتطرفة ... علاقات وتوافقات في مناطق الصراع" في العلاقة المعقدة لأدوات إيران في المنطقة مع تلك الجماعات من العراق إلى سوريا ولبنان وغيرها؛ لأن العلاقة بين الطرفين لم تبدأ مع الثورة السورية، على نحو ما شرحنا في هذا الإصدار؛ لذا نوسّع دائرة النظر في الخريطة الجغرافية لفهم أبعاد العلاقة الاستثمارية بينهم، فننظر إلى الطرفين نظرة شاملة موحدة، مع شرح أدلة الاستثمار المتبادل الذي لا تخرج عنه أدوات إيران ولا أخوات القاعدة في العراق وسوريا ولبنان.

ايقاد

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center



sydialogue



www.sydialogue.com

